

فَضْلٌ لِلْإِسْمِ الْأَكْبَرِ وَشُرُوطُهَا

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للأفتاء

إعداد

أحمد بن شوقي عمارة



مَدَارُ الْوَطَنِ لِلدِّينِيَّةِ

فضل
الإمام الألباني
وشروطها

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

إعداد

أحمد بن شوقي عمارة



مجلس الشورى الإسلامي
بالمملكة العربية السعودية

ح مدار الوطن للنشر، ١٤٣٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عمارة، احمد شوقي
فضل لا إله إلا الله وشروطها.
/ احمد شوقي عمارة.. الرياض، ١٤٣٧ هـ
١٨٠ ص ٢٤×١٧ سم
ردمك: ٠٠-٤٠-٨١٧١-٦٠٣-٩٧٨
١- الشهادة (أركان الإسلام) ٢- التوحيد ٣- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٧/٥٨٧

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٥٨٧
ردمك: ٠٠-٤٠-٨١٧١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م

جميع الحقوق محفوظة



المملكة العربية السعودية - الرياض
ص. ب. ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢
المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨
ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦
فرع مخرج ١٥ ت: ١١٤٤٥٤١٢٤ جوال: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
K.S.A / Riyadh 11312 P.O.Box: 245760
Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096
Exit:15 -Tel.114454124 Mob. 0506436804

الموقع الإلكتروني
www.madaralwatan.com
pop@madaralwatan.com
madara:watan@hotmail.com
madaralwatan2020@gmail.com
البريد الإلكتروني

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله / وبعد : فقد اطلعت على كتاب (فضل لا اله الا الله)
وشرطها للمؤلفه أهديه بتوقفي به بحماره فوجدته واضيا
بالاطلوع مدعما بالأدلة مؤصلا من المراجع الموثوقة في موضوع
سهم جهاد الكفار مسلم . فجزاه الله خيرا عما قام به ونفع مجوده
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

١٤٢٥/١٧/٢٤ هـ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]؛ أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، أما بعد:

فقد روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١)؛ فأول ركن من أركان الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ف«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلققت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه وشرَّع شرائعه، ولأجلها نُصِبَت الموازين ووُضِعَت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار،

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٨)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٦).

فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب وهي الحق الذي خلقت له الخليفة
وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها
نُصبت القبلة وعليها أُسست الملة، ولأجلها جُرّدت سيوف الجهاد وهي حق الله
على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وعنهما يُسأل الأولون
والآخرون فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين ماذا كنتم
تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولى بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقرارًا وعملاً، وجواب الثانية
بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقرارًا وانقيادًا وطاعة^(١).

وهي الكلمة العالية، والشريفة الغالية، من استمسك بها فقد سلّم، ومن
اعتصم بها فقد عُصِم^(٢)، ومن أجلها حورب النبي ﷺ من الكافرين والمشركين
وافتروا عليه الافتراءات فقالوا عنه شاعر وكاهن وساحر ومجنون ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ
تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ [فاطر: ٣-٤]،
وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٣]،
﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ
قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وأيضاً باقي الأنبياء
والمرسلين لقوا الأذى من قومهم وأتهموا بالسّفه والجنون والكذب حتى نصرهم
الله تعالى وأيدهم بتأييده ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرًا عَلَيَّ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنْتَهُمْ
نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُمْرُسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤]، وكل هذا من

(١) زاد المعاد (١/٣٦).

(٢) الدرر السنية (٢/١١٢)، من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ

أجل إقامة الدين وإعلاء كلمة الله «لا إله إلا الله» والإيمان بالله وحده والكفر بكل ما يُعبد من دون الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وكان الكفار والمشركون يعرفون معنى «لا إله إلا الله» ويعرفون أنهم إذا قالوها وجبت عليهم أشياء لذلك أبوا إباءً شديداً أن يتلفظوا بها وينطقوها لأنهم يعلمون مدلولها، فأنكروا هذه الكلمة كما ذكر الله تعالى في كلامهم فقالوا: ﴿أَجْعَلِ لِلْأَلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (٥) وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿ [ص: ٥-٧]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَزَرِينَا لِشَاعِرٍ مُّجْتَنِبٍ ﴿ [الصافات: ٣٥-٣٦]، وغيرها من الآيات التي ذكرها الله تعالى في كتابه وقصصهم مع الأنبياء والمرسلين، فكانوا يعرفون ما ينبنى على هذه الكلمة من أمور وأحكام.. وغير ذلك.

والناظر في مجتمعاتنا الحالية يجد عكس ما كان عليه الكفار، فكثير من أهل زماننا ينطقون «لا إله إلا الله» ويتلفظون بها لكنهم لا يُقيمون شروطها ولا يعرفون مدلولها بل ويفعلون ما يناقضها من أفعال وأقوال.

«صاروا يقولون: لا إله إلا الله، والشرك قد قام في قلوبهم، واتخذوه ديناً، فأثبتوا ما نفتته هذه الكلمة من عبادة غير الله، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص، فعكسوا مدلول هذه الكلمة العظيمة، بكونهم أثبتوا ما نفتته من الشرك، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص الذي هو حق الله على عباده، فيقول قائلهم: لا إله إلا الله، وقد اعتقد عكس ما دلت عليه؛ وهذا غاية الجهل والضلال، يقول كلمة تتضمن النفي والإثبات، فلا يعرف ما نفت ولا ما أثبتت؛

هذا وَهُمْ فيما يَقْرَؤونه، وَيُقْرَؤونه في مذاهبهم، وما كانوا يتعاطونه من العلوم، لا يجهلون مثل هذا.

وكثير منهم له في علم المعقول اليد الطولى، فسبحان الله! كيف جهلوا من ذلك ما دعت إليه الرسل من توحيد الله، ونفي الشرك الذي نهوا أممهم عنه، كما هو صريح في القرآن، لا يخفى على من له أدنى فهم إن وفق لفهمه، فوضعوا الشرك موضع التوحيد، بالقبول والعمل، ووضعوا التوحيد موضع الشرك، بالإنكار على من دعا إليه وعداوته!

فهذا يتبين لك معنى ما أخبر به النبي ﷺ من قوله: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ»^(١)، فلا غربة للإسلام أعظم من هذه الغربة التي عليها من تمسك بالحق المبين في هذه القرون المتأخرة»^(٢)،، وإلى الله الشكوى.....

لذلك قمت بوضع بعض فضائل هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله»، ووضعت شروطها مع بعض التفصيل من غير تقصير ولا تطويل؛ عسى الله أن ينفع بهذه الكلمات، والله أسأل أن يتقبل منا ويجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين، وأن يهدي بنا ويجعلنا سببا فيمن اهتدى، إنه سبحانه خير مسئول وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه

أحمد بن شوقي بن عمارة

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٤٥).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٢١٥-٢١٦) من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ

باب

معنى « لا إله إلا الله »

قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ يُزِيلُ الْمَلَايِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

واعلم أن « لا »: نافية للجنس، واسمها « إله » مبني على الفتح، وخبرها محذوف وتقديره « حق »، « إلا »: أداة استثناء، والمستثنى: لفظ الجلالة « الله »^(١)، فتكون: لا إله بحق إلا الله.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله وإثباتها له بوصف الاختصاص فدلالته على الإثبات أعظم من دلالة قولنا: « الله إله » ولا يستريب أحد في هذا البتة. اهـ.^(٢)

ولهذا فنحن نُبطل كل ما يُزعم من آلهة أخرى، ونقول: أن كل إله غير الله [وعبادته]^(٣) باطل وكذب ولو كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا أو وليا محترما ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

(١) مستفاد من رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الدرر السنية (٢/ ٣٢٦: ٣٣١).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٥٨).

(٣) ما بين المعكوفين تعليق شيخنا الوالد العلامة/ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله تعالى -.

الْكَبِيرُ ﴿ [الحج: ٦٢]، وقال الله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَأْتِي الَّذِينَ كَفَرُوا وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد: ٣]، وقال: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الإله هو الذي تأله القلوب؛ لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والإله هو: الذي تأله القلوب، محبة وإجلالا، وإنابة، وإكراما، وتعظيما، وذلا، وخضوعا، وخوفا، ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه، ودعاء له، لا يصلح ذلك كله إلا لله؛ فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحا في إخلاصه في قوله: لا إله إلا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك^(٢).

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله هو الذي يطاع فلا يُعصى هيبه له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عَزَّجَلَّ^(٣).

والإله: هو المعبود، فـ «لا إله إلا الله»: أي لا معبود بحق إلا الله، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: والإله هو: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له،

(١) مجموع الفتاوى (١/١٣٦).

(٢) نقلا عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن، الدرر السنية (٢/٢١٧).

(٣) كلمة الإخلاص ومعناها، ص (٢٣).

وهو الله وحده، فمن نذر لغير الله، أو ذبح لغيره، فقد عبد غيره^(١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: اعلم - رحمك الله - أن معنى لا إله إلا الله، نفي وإثبات: «لا إله» نفي، «إلا الله»: إثبات؛ تنفي أربعة أنواع؛ وتثبت أربعة أنواع؛ المنفي: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

وتثبت أربعة أنواع: القصد - كونك ما تقصد إلا الله -، والتعظيم، والمحبة، والخوف والرجاء^(٢).

فاعلم: أن معنى هذه الكلمة: نفي الإلهية عما سوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها كلها لله وحده، لا شريك له، ليس فيها حق لغيره، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(١٣) لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا^(١٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿ [مريم: ٩٣ - ٩٥]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجْدِلًا عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]. ا.هـ^(٢).

فاعلم - رحمك الله - أن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

(١) الدرر السنية (١٢٧/٢) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (١٢٢/٢) باختصار.

(٣) المرجع السابق (١٠٢/٢) (١٠٣).

ومعنى: ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾، أي: نستوي نحن وأنتم في قصر العبادة على الله، وترك الشرك كله (١).

وعلى هذا نكون قد عرفنا أن «معنى شهادة: أن لا إله إلا الله، أن يقولها نافية قلبه ولسانه الإلهية عن كل ما سواه، ومثبتها لمستحقها، وهو الله المعبود بالحق؛ فيكون معرضاً بقلبه عن جميع المخلوقات، لا يتألهم فيما لا يقدر عليه إلا الله، مقبلاً على عبادة رب الأرض والسموات؛ وذلك يتضمن إرادة القلب في عبادته ومعاملته، ومفارقتة في ذلك كل ما سواه؛ فيكون مفارقاً في علمه وقصده، وشهادته وإرادته، ومعرفته ومحبته، بين الخالق والمخلوق؛ بحيث يكون عالماً بالله، ذاكر له، عارفاً به، وأنه تعالى مبين لخلقه، منفرد عنهم بعبادته وأفعاله، وصفاته؛ ويكون محباً له، مستعيناً به لا بغيره، متوكلاً عليه لا على غيره، وهذا هو معنى: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهي من خصائص الإلهية، كما أن رحمته لعبيده، وهدايته إياهم، وخلقه السموات والأرض وما فيهما من الآيات من خصائص الربوبية التي يشترك في معرفتها: المؤمن والكافر، والبر والفاجر» (٢).

وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبتت الإيجاب لله تعالى، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله (٣)، والطاغوت: هو ما يُعبد من دون الله (٤)، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٣٠٥-٣٠٦) من كلام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) من كلام الوزير أبي المظفر في الإفصاح، نقلاً عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن، الدرر السنية (٢/ ٢١٧).

(٤) منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٤٥١).

عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٥٦﴾؛ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: والمراد: معنى هذه الكلمة؛ وأما: التلغظ باللسان، مع الجهل بمعناها، فلا ينفع؛ فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار. ١. هـ. (١).

ونحن نقول: لا إله إلا الله، ليست باللسان فقط، لا بد للمسلم إذا لفظ بها، أنه يعرف معناها بقلبه؛ وهي التي جاءت لها الرسل، وإلا فالمُلك ما جاءت الرسل له. (٢).

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين - رحمه الله تعالى - ومن قال: لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر، كدعاء الموتى والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالندور، والذبايح، فهذا مشرك، شاء أم أبى، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، و﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومع هذا فهو شرك، ومن فعله فهو كافر. ١. هـ. (٣).

وكثير من الناس - اليوم - إذا سئلوا: ما معنى لا إله إلا الله؟ فيقولون: لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله. فما يعرف من هذه الكلمة مراد ما من أجله خُلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٢٦].

«فإذا قيل: لا خالق إلا الله، فهذا معروف، لا يخلق الخلق إلا الله، لا يشاركه في ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وإذا قيل: لا يرزق إلا الله، فكذلك؛ فإذا

(١) الدرر السنية (٢/ ١٠٢).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٢٩).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٣١٣).

قيل: لا إله إلا الله، فكذلك، فتفكر - رحمك الله - في هذا، واسأل عن معنى الإله، كما تسأل عن معنى الخالق، والرازق.

واعلم أن معنى الإله: هو المعبود هذا هو تفسير هذه اللفظة، بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً، فقد اتخذها إلهاً من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد، وهو: الله وحده، تبارك وتعالى علواً كبيراً^(١).

وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مُقرِّينَ بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال^(٢).

○+○+○

(١) المرجع السابق، من كلام شيخ الإسلام/ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ١٠٣).
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٣٩) بتصرف.

الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكفَّ عنه الأنصاري، فطعنته برمحٍ حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، قال: فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً، قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: فما زال يكررها عليّ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١).

وفي رواية عند مسلم: قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حتى تمنيتُ أني أسلمتُ يومئذ^(٢).

وفي رواية أخرى: قال ﷺ: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: فجعل لا يزيدني على أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»^(٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كشف الشبهات»^(٤): معناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. ا.هـ باختصار.

وفي صحيح مسلم^(٥): عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال: يا رسول الله،

(١) صحيح البخاري: كتاب الديات (٦٨٧٢)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٦).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٧)، من رواية جندب بن عبد الله الجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) مجموع مؤلفات ورسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٩/٦).

(٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٥).

أرأيت إن لقيتُ رجلاً من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمتُ لله، أفأقتله يا رسول الله، بعد أن قالها؟ قال: رسول الله ﷺ: «لا تقتله» قال: فقلت: يا رسول الله، إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قال». وفي رواية معمر بن راشد: فلما أهويت لأقتله قال: لا إله إلا الله.

باب

ليس كل من يقول لا إله إلا الله يكون مسلماً

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَاتِينَةً ءَايَاتِنَا فَأَنسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُم وَرُءُسَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ءَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]،، وغيرها من الآيات.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(١).

وفي رواية - عند البخاري - عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا قالوها، وصلُّوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٢٥)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٢).

وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله»^(١).

والمقصود: «بحقها» أي: حق الإسلام، كما جاء في رواية عند البخاري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»^(٢).

وحق الإسلام يكون في أمرين:

الأول: الدماء والأنفس. الثاني: المال.

فالأول لا يكون إلا في ثلاثة أشياء، كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»^(٣).

فأما النفس بالنفس: أي القصاص والقود، وذلك لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ [البقرة: ١٧٨] ولقوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

وأما الثيب الزاني: فهو المحصن ويدخل فيه الذكر والأنثى، وهو حجة على ما اتفق عليه المسلمون من أن حكم الزاني - المحصن: الذي تزوج ولو

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٣٩٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٢٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الديات (٦٨٧٨)، صحيح مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦).

لساعات- الرجم بشروطه المذكورة في أبواب الفقه (١).

وقد ثبت رجم الزاني المحصن في سُنَّةِ النبي ﷺ، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله» - ثم قال - «اغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها»، قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ، فُرِّجَتْ (٢).

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة، والرجم» (٣).

ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إني قائل لكم مقالة قد قَدَّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ، إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رَجَمَ رسولُ الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف» (٤).

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، ص (٦٦).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشروط (٢٧٢٤)، صحيح مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٩٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحدود (١٦٩٠).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الحدود (٦٨٣٠)، وهو في صحيح مسلم مختصرا: كتاب الحدود (١٦٩١).

وأما «المارق من الدين التارك للجماعة»: أي المرتد عن الإسلام، لقول النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»^(١).

فهذا حق الإسلام في النفس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

والثاني: حق الإسلام في المال وهو الزكاة، وقد قاتل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه من قاتل بسبب منعهم الزكاة.

ولهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحَسَابِهِ عَلَى اللَّهِ»، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة، والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلا أن رأيت الله عزَّ وجلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الحُجْمَس ويصومون شهر رمضان. وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة فلماذا كانوا مرتدين وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله. وقد حُكِيَ عنهم أنهم قالوا: إن الله أمر نبيه بأخذ الزكاة

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير (٣٠١٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الزكاة (١٣٩٩ - ١٤٠٠)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٠).

فاعلم رحمك الله: أن هذه المسألة أهم الأشياء عليك، لأنها هي الكفر والإسلام؛ فإن صدقتهم فقد كفرت بما أنزل الله على رسوله، كما ذكرنا لك من القرآن والسنة والإجماع، وإن صدقت الله ورسوله، عادوك وكفروك؛ وهذا الكفر الصريح بالقرآن والرسول، فهذه المسألة، قد انتشرت في الأرض، مشرقها ومغربها، ولم يسلم منهم إلا القليل. ١. هـ^(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، وأنه ليس المراد منها مجرد النطق، فإذا كانت لا تعصم من استباح محرماً، أو أبي عن فعل الوضوء مثلاً بل يقاتل على ذلك حتى يفعله، فكيف تعصم من دان بالشرك وفعله وأحبه ومدحه، وأثنى على أهله، ووالى عليه، وعادى عليه، وأبغض التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله، وتبرأ منه، وحارب أهله، وكفّرهم، وصدّ عن سبيل الله كما هو شأن عبّاد القبور، وقد أجمع العلماء على أن من قال: لا إله إلا الله، وهو مشرك أنه يقاتل حتى يأتي بالتوحيد. ١. هـ^(٢).

«وليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمني، ولكن ما وفر في القلوب، وصدقته الأعمال. فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، أنا مسلم، أنا من أهل السنة والجماعة، وهو من أعداء الإسلام وأهله، منابذ لهم بقوله وفعله، لم يصِرْ بذلك مؤمناً، ولا مسلماً، ولا من أهل السنة والجماعة، ويكون كفره مثل اليهود، فإنهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم.

فإن أصل الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ومضمون شهادة أن لا إله إلا الله ألا يعبد إلا الله وحده، فلا يُدعى إلا هو، ولا

(١) الدرر السنية (٩/ ٣٨٤-٣٨٦).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص (١١٧).

يُستغاث إلا به، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُخاف إلا منه، ولا يُرجى إلا هو، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ زَيْحُوا لِقَاءِ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أَوْلَاتِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

فكل من دعا مخلوقا، أو استغاث به، أو جعل فيه نوعا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثنني، أو انصرتني، أو اقض ديني، أو اشفع لي عند الله، في قضاء حاجتي، أو أنا متوكل على الله وعليك، فهو مشرك في عبادة الله غيره، وإن قال بلسانه: لا إله إلا الله، وأنا مسلم.

وقد كفر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مانعي الزكاة، وقتلوهم، وغنموا أموالهم، وسبوا نساءهم، مع إقرارهم بسائر شرائع الإسلام، وذلك لأن أركان الإسلام، من حقوق لا إله إلا الله، كما استدل به أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عمر، حين أشكل عليه قتال مانعي الزكاة، فكيف بمن كفر بمعنى لا إله إلا الله؟ وصار الشرك وعبادة غير الله هو دينه، وهو المشهور في بلده، ومن أنكر ذلك عليهم كفره، وبدّعه، وقتلوه، فكيف يكون من هذا فعله مسلما من أهل السنة والجماعة، مع منابذته لدين الإسلام، الذي بعث الله به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، إلى غير ذلك من المجاهرة بالكفر، والمعاصي، واستحلال محارم الله ظاهرا؟^(١)

(١) الدرر السنية (١/ ٢٩١-٢٩٣) من كلام الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى، باختصار.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كشف الشبهات»^(١): والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبُوا﴾ [النساء: ٩٤] أي: فتثبتوا. فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِل لقوله تعالى: ﴿فَتَيَّبُوا﴾، ولو كان لا يقتل إذا قاهها لم يكن للتثبت معنى. ١. هـ.

وسُئِل ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عن حديث: «صلوا على من قال لا إله إلا الله»، فقال: المراد أهلها حقاً، وهو من نطق بلفظها، عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، ولم يأت بها ينقضه. إلا أن عوام المسلمين نطقهم بها نطق رضوخ ودينونه. وليس كل من يقوها يُصلى عليه. اليهود يقولونها ولا يصلى عليهم، وابن الجوزي ضعّف هذا الحديث إلا أن معناه صحيح فمعنى الحديث الصلاة على أهل الإسلام الذين لهم معاصي لم تخرجهم عن الإسلام، فضلاً عما يقولها حقاً من معرفة معناها والعمل بموجبه والبعد عما ينافيه. ١. هـ.^(٢)

«ومن تليس إبليس، ومكيدته لكل جاهل خسيس أن يظن أن ما ذم الله به اليهود والنصارى والمشركين، لا يتناول من شابههم من هذه الأمة، ويقول إذا استدل عليه بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية: هذه الآيات نزلت في المشركين، نزلت في اليهود، نزلت في النصارى؛ ولسنا منهم.

وهذا من أعظم مكائده، وتليسه، فإنه فتن بهذه الشبهة كثيراً من الأغبياء والجاهلين، وقد قال بعض السلف - لمن قال له ذلك -: مضى القوم وما يعني به غيركم. وقال بعض العلماء: إنَّ مما يحول بين المرء وفهم القرآن أن يظن أن ما ذم الله

(١) مجموع مؤلفات ورسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (٦/١٢٩).

(٢) فتاوى ورسائل ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (٣/١٨٤-١٨٥) باختصار.

به اليهود والنصارى والمشركين، لا يتناول غيرهم، وإنما هو في قوم كانوا فبانوا، وقد قال الإمام الحافظ سفيان بن عيينة - وهو من أتباع التابعين -: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبّادنا، ففيه شبه من النصارى^(١).

وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين^(٢) وغيرهما، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». وهذا لفظ البخاري. والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة.

وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٩]، قال: «ما أشبه الليلة بالبارحة! كالذين من قبلكم هؤلاء بنو إسرائيل، شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لتتبعنهم، حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه»^(٣).

فكيف يظن من له أدنى تمسك بالعلم، بعد هذه الأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة، أن هذه الأمة لا تشابه اليهود والنصارى، ولا تفعل فعلهم، ولا يتناولهم ما توعد الله به اليهود والنصارى إذا فعلوا مثل فعلهم؟ ومن أنكر وقوع الشرك والكفر في هذه الأمة فقد خرق الإجماع، وسلك طريق الغي والابتداع^(٤).

○◀◀◀○

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء (٣٤٥٦)، صحيح مسلم: كتاب العلم (٢٦٦٩).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٤/ ٣٤٢).

(٤) الدرر السنية (١/ ٢٨٨-٢٨٩) من كلام الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى.

باب

فضائل لا إله إلا الله

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾، قال: لا إله إلا الله. ا. هـ. (١).

وقال الله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦] قال علي ابن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم جميعاً: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾: لا إله إلا الله. ا. هـ. (٢).

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَكُوا كَلِمَةَ طَيْبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَا ذُنَّ رَّبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]؛

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: شبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/١٥٠).

(٢) المرجع السابق (٢٢/٢٥٣-٢٥٥).

وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: «الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله» فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة وهو المؤمن، أصلها ثابت قول لا إله إلا الله، في قلب المؤمن، وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء»^(١).

فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علواً، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين، وإذا تأملت هذا التشبيه رأيت مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت؛ بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصديقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولو أزمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً.

(١) راجع تفسير ابن أبي حاتم لهذه الآية.

فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت؛ فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلما كثيرا طيبا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا متصفا بموجبها قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت. هـ. (١).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -: إذا قلت: «لا إله إلا الله»، فإن كان مسكنها منك اللسان لا ثمرة لها في الثمرة، فأنت منافق، وإن كان مسكنها منك القلب، فأنت مؤمن؛ وإياك أن تكون مؤمنا بلسانك دون قلبك. فتنادي عليك هذه الكلمة في عرصات القيامة: إلهي صحبته كذا وكذا سنة، فما اعترف بحقي، ولا رعى لي حرمتي حق رعايتي؛ فإن هذه الكلمة تشهد لك، أو عليك.

فعالم الفضل تشهد لهم بالاحترام، حتى تدخلهم الجنة؛ وعالم العدل تشهد لهم بالاحترام، حتى تدخلهم النار ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

لا إله إلا الله: شجرة السعادة؛ إن غرستها في منبت التصديق، وسقيتها من ماء الإخلاص، ورعايتها بالعمل الصالح، رسخت عروقها، وثبت ساقها،

(١) إعلام الموقعين (١/١٣٢ - ١٣٣) باختصار.

واخضرت أوراقها، وأينعت ثمارها، وتضاعف أكلها ﴿تَوَوَّجَ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وإن غرست هذه الشجرة في منبت التكذيب والشقاق، وأسقيتها بماء الرياء والنفاق، وتعاهدتها بالأعمال السيئة والأقوال القبيحة، وطفح عليها غدِير العذر ولفحها هجير هجر، تناثرت ثمارها، وتساقطت أوراقها، وانقشع ساقها، وتقطعت عروقها، وهبت عليها عواصف القدر، ومزقتها كل ممزق ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. ١. هـ^(١).

○ ← ○ ← ○

فصل

أصل الثبات لا إله إلا الله

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أخبر - سبحانه - أنه يُثَبِّتُ الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت، فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم، وثبت المؤمنين بفضلهم لإيمانهم، وتحت هذه - الآية كثر عظيم من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حُرِمَ، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانها، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْنَتَكَ لَقَدَّرْتَّ تَرَكَّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد، فبها يُثَبِّتُ اللهُ عبده، فأثبت الناس قلبا أثبتهم قولاً، والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوآزمها، فهي أعظم ما يُثَبِّتُ اللهُ بها عبده في الدنيا والآخرة فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم. اهـ. (١).

○ ← ○ ← ○

(١) إعلام الموقعين (١/١٣٥-١٣٦) باختصار.

فصل

أفضل الذكر لا إله إلا الله

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله^(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»^(٢).

وعنه رضي الله عنه: أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا

(١) حسن: رواه الترمذي: أبواب الدعوات (٣٣٨٣)، وابن ماجه: كتاب الأدب (٣٨٠٠)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقائق (١٢٦/٣)، رقم (٨٤٦)، وكل الأسانيد مدارها على موسى بن إبراهيم ابن كثير بن بشر الأنصاري، قال المزني في (تهذيب الكمال): ذكره ابن حبان في كتاب الثقات ١.هـ. وزاد ابن حجر في تهذيب التهذيب: وتمة كلامه - أي: ابن حبان - وكان يخطئ. ١.هـ. ولهذا قال عنه في التقريب: صدوق يخطئ، من الثامنة. ١.هـ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم وقد روى علي بن المديني وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث. ١.هـ.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٢٠).

رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرار كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»^(٢).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس»^(٣).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال: «ومن قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يُصبح، فهو من أهل الجنة»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: فالعبد عليه أن يعترف بعدل الله وإحسانه فإنه لا يظلم الناس شيئاً فلا يعاقب أحداً إلا بذنبه، وهو يحسن إليهم فكل نقمة منه عدلٌ وكلّ تعمة منه فضل. فقلوه: «لا إله إلا أنت»:

(١) صحيح مسلم: كتاب الزكاة (١٠٠٦).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الدعوات (٦٤٠٤)، صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٣).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٥).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الدعوات (٦٣٠٦).

فيه إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ففيها إثبات إحسانه إلى العباد فإن «الإله» هو المألوه، والمألوه: هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يُعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع؛ والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل. ا.هـ^(١).

○←○←○

(١) مجموع الفتاوى (٢٤٩/١٠).

فصل

لا إله إلا الله حرز من الشيطان

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَنُحِبَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٌ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتَهُ، فَقُلْتُ لِأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ -، فَقَالَ: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَحْتَمَّ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تَصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(٢).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق (٣٢٩٣)، صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوكالة (٢٣٢٢) مختصراً، وقد اختصره البخاري برقم (٣٢٧٥) و(٥٠١٠).

فصل

الاستقامة على لا إله إلا الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزْلَمَنَ عَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هم الذين لم يُشركوا بالله شيئاً، وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله^(١).

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: قال وكيع بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ: البشري تكون في ثلاث مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث^(٢).

﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾: أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي: على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال أو دين، فإننا نخلفكم فيه^(٣).

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: أي: نحن المتولون لحفظكم، ومعونتكم في أمور الدنيا وأمور الآخرة، ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب ونجا

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢١/٤٦٤-٤٦٥).

(٢) تفسير البغوي (٧/١٧٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/١٧٧).

من كل مخافة^(١).

عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك - وفي رواية: غيرك - قال: «قل: آمنت بالله، فاستقم»^(٢).

○ ← ○ ← ○

(١) فتح القدير (٤/٥٩٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٨).

فصل

من كان آخر كلامه لا إله إلا الله

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالوا: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»^(١).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»^(٢).

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٣).

عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، عن أبيه، قال: رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلًا. فقال: ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتكم إمرة ابن عمك - يعني أبا بكر - يا أبا فلان؟ قال: لا. إلا أنني سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا، ما منعتني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز (٩١٦-٩١٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب اللباس (٥٨٢٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٩٤) مكرر.

(٣) صحيح: رواه الإمام أحمد في المسند (٢٢٠٣٤) و(٢٢١٢٧)، وأبو داود في سننه، كتاب الجنائز (٣١١٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٤٠٣/٩-٤٠٤)، والحاكم في المستدرک (١٢٩٩)، والبيهقي في مسنده (٧٧/٧)، وغيرهم من طريق عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ به، وهذا إسناد حسن، لكن الحديث يتقوى إلى الصحة لشواهد له، منها ما رواه مسلم في حديث أبي ذر السابق، وما رواه ابن حبان في صحيحه (٣٠٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والطبراني في الأوسط (١٨٠/١) (٥٧٤) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ «لم يدخل النار»، وغيرها. والله أعلم.

موته، إلا أشرق لها لونه ونفس الله عنه كربته». قال: فقال عمر: إني لأعلم ما هي قال: وما هي؟ قال: «تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله» قال طلحة: صدقت هي والله هي^(١).

وفي رواية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقوها رجل يحضره الموت إلا وجد روحه لها روحا حين تخرج من جسده، وكانت له نورا يوم القيامة»^(٢).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده (١٣٨٤) و(١٣٨٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٩٨-١١٠١).

(٢) السنن الكبرى للنسائي (٤٠٢/٩) (١٠٨٧١)، سنن ابن ماجه، كتاب الأدب (٣٧٩٥)، مسند البزار (٩٣٠).

فصل

من قال لا إله إلا الله وحقق شروطها دخل الجنة

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم قال -أي: المؤذن- لا إله إلا الله، قال-أحدكم-: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»^(١).
وجاء في حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السابق عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»^(٢).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة (٣٨٥).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

فصل

من قال لا إله إلا الله وحقق شروطها خرج من النار

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُغِيرُ إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «على الفطرة» ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «خرجت من النار» فنظروا فإذا هو راعي معزى^(١).

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه»^(٢).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير»^(٤).

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة (٣٨٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٣٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٣)، وهذا لفظه.

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم (١٢٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٢)، وهذا لفظه.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٤٤)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٩٣).

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أَخِرُّ له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذاك لك - أو قال: ليس ذاك إليك - ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي، لأخرجن من قال: لا إله إلا الله»^(١).

○+○+○

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد (٧٥١٠)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٩٣) مكرر، وهذا لفظه.

باب

شروط لا إله إلا الله

والشرط: هو ما لا يلزم من وجوده لذاته وجود ولا عدم، ولكنه يلزم من عدمه عدم المشروط^(١)، وقيل: هو ما كان عدمه يستلزم عدم الحكم^(٢)، ومعنى ذلك: أن عدم الشرط يلزم وجود حكم الضدّ، أو يلزم من عدم وجوده العدم، فمن لم يحقق شرط الشيء لم يحقق الشيء ولم يصح؛ فالوضوء - مثلا - شرط للصلاة، فمن صلّى بلا وضوء فلا صلاة له، كما جاء ذلك عن النبي ﷺ فقال: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»^(٣). وفي رواية: «لا تُقبل صلاةٌ بغير طهور»^(٤)، فلما انتفى الشرط انتفى الحكم وثبت حكم ضده، أي: فلما انتفى الوضوء والطهارة انتفت صحة الصلاة وثبت بطلانها.

ولهذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فِي «القواعد الأربعة»: فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد - لأن الإخلاص والتوحيد شرط في قبول العمل-، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحديث إذا دخل في الطهارة. ا.هـ^(٥) بتصرف.

(١) مذكرة في أصول الفقه، للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني (٢٧/١).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الحيل (٦٩٤٥)، وصحيح مسلم: كتاب الطهارة (٢٢٥) وهذا لفظ البخاري.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الطهارة (٢٢٤).

(٥) مجموع مؤلفات ورسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٤٤ / ٦).

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:

من قالها^(١) معتقدا معناها وكان عاملا بمقتضاها
في القول والفعل ومات مؤمنا يبعث يوم الحشر ناج آمنا^(٢)

وعليه فمن لم يحقق شروط لا إله إلا الله ومقتضياتها وملزماتها لم يقيم بها ولم يدخل تحت هذه الكلمة العظيمة، ولذلك قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع. ا.هـ.^(٣)

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: وقيل لوهب بن منبه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: «بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِح لك، وإلا لم يفتح لك». ا.هـ.^(٤)

وعن الحسن بن عميرة، قال: قيل للحسن - أي: البصري -: إن ناسا يقولون: من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدَّى حقها وفرضها، دخل الجنة. ا.هـ.^(٥)

(١) أي: قال: لا إله إلا الله.

(٢) معارج القبول شرح سلم الوصول، (٢ / ٥٠٩).

(٣) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها. لابن رجب ص ١٣

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، الباب الأول.

(٥) ترتيب الأمالي الخمسية للشجري الجرجاني (١٦ / ١)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص (٥٢٢)، ورسائله السابقة.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ:

ومن لم يقيدها بكل شروطها كما قاله الأعلام من كل مهتدٍ
فليس على نهج الشريعة سالكا ولكن على آراء كل ملدود^(١)

وقال:

وما لم تقم هذي الشروط جميعها بقائلها يوما فليس على الهدى^(٢)

○ ← ○ ← ○

(١) الدرر السننية (١/٥٨٢).

(٢) المرجع السابق (١/٥٨٣).

فصل

في معرفة شروط لا إله إلا الله

اعلم - وفقك الله تعالى - أن شروط لا إله إلا الله استنبطها العلماء من كتاب رب العالمين ومن سنة نبيه محمد الأمين ﷺ وذلك عن طريق الاستقراء.

فمن العلماء من قال: أنها سبعة شروط، ومنهم من قال: هم ثمانية؛

قال سباحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: وقد جمع بعضهم شروطها في

بيتين فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأشياء قد أها^(١)

وليست العبرة بحفظ هذه الشروط بقدر معرفتها والعمل بها والبعد كل البعد عن نواقضها وعدم الإتيان بواحد منها، قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:

وبشروط سبعة قد قيدت وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها

«وبشروط سبعة» متعلق بقيدت «قد قيدت» أي: قيد بها انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار. «وفي نصوص الوحي» من الكتاب والسنة «حقا وردت» صريحة صحيحة «فإنه» أي: الشأن وذلك علة تقيدها بهذه الشروط السبعة «لم ينتفع قائلها» أي: قائل لا إله

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/٥٠).

إلا الله «بالنطق» أي: بنطقه بها مجردا «إلا حيث يستكملها» أي: هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عدّ ألفاظها وحفظها فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له: أعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرا فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان. ١.١هـ^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله تعالى - : وقد قيدت لا إله إلا الله في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال، لا بد من الإتيان بجميعها، قولاً، واعتقاداً، وعملاً. ١.١هـ^(٢).



(١) معارج القبول شرح سلم الوصول (٢/٥١٨).

(٢) الدرر السنية (٢/٢٤٣).

فصل

في معرفة علماء الحق من علماء الغي والباطل^(١)

إن الناس يحبون العلماء ويوقروهم ويعطوهم حقهم، وقد مدح الله تبارك وتعالى العلماء وأثنى عليهم كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

والعلماء على قسمين:

١ - علماء دين. ٢ - علماء دنيا.

أما علماء الدين فهم الذين مدحهم الله تعالى في كتابه كما جاء في الآيات السابقة، ويتصفون بالمعتقد السليم المستقيم والعمل الصالح والورع والزهد والخلق الحسن، ويعملون بسنة النبي ﷺ ظاهرا وباطنا.

وأما علماء الدنيا فهم الذين ذمهم الله في كتابه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

فالأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العباد، وقال تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]، وقال تعالى:

(١) وإنما عقدت هذا الفصل قبل الشروع في الكلام عن شروط لا إله إلا الله ليتبين للناس من هم علماء الحق الذين يؤخذ عنهم الدين، ومنه هذه الشروط.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِم مِمَّا قَلِيلًا فِيمَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وغير ذلك من الآيات؛

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لَتَبِعَنَّ سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضَبَّ لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»^(١).

فإذا تدبرت هذه الآيات السابقة ومثلها وفهمتها وتدبرت هذا الحديث وفهمته وربطت بين آيات ذكر أهل الكتاب وهذا الحديث وجدت العجب العجاب، خاصة إذا نظرت في أحوال من تعرفهم ممن يُطلق عليهم علماء وتُنزل عليهم هذه الآيات فسيتضح إليك - إن شاء الله، إن كنت تريد الحق - أمر علماء الدين من علماء الدنيا - سلمنا الله وإياك من الفتن ومضلاتها -.

قال البرهاري رَحِمَهُ اللهُ: واعلم - رحمك الله - أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب. اهـ.^(٢)

وكما قيل:

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عبّاد الوثن

وأنت أيها الرجل: ترى كثيرا ممن يدعي العلم والفهم، قد عكس مدلول لا إله إلا الله، ككثير من الطواغيت في هذا العصر، فيثبتون ما نفته لا إله إلا الله من الشرك في العبادة، ويعتقدون ذلك الشرك دينا، وينكرون ما دلت عليه من

(١) سبق ترجمه.

(٢) شرح السنة للبرهاري، ص (٧٦).

الإخلاص، ويشتمون أهله، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢-٢٣].

وهذا النوع من الناس، الذين قد فُتِنُوا، وفتنوا يستجهلون أهل الإسلام، ويستهزؤون بهم، أسوة من سلف من أعداء الرسل، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥] (١).

قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتكم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا، لقد ضللتكم ضلالا بعيدا (٢).

○ ← ○ ← ○

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٤٥)، من كلام العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٢).

باب الشرط الأول

وهو العلم: وضده الجهل.

أما العلم: فهو معرفة المعلوم على ما هو به^(١) في الواقع^(٢).

والمقصود به هنا، هو معرفة معنى لا إله إلا الله علما ينافي الجهل، بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها^(٣)، وقد تبين أن معنى لا إله إلا الله، هو: البراءة من عبادة كل ما سوى الله، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، كما تقدم؛ وهذا واضح بين لمن جعل الله له بصيرة، ولم تتغير فطرته، ولا يخفى إلا على من عميت بصيرته، بالعوائد الشركية، وتقليد من خرج من الصراط المستقيم، من أهل الأهواء والبدع والضلال ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]^(٤).

وقد قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فأمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ ظاهرا وأمهته بالعلم بلا إله إلا الله، وإن كان الخطاب موجها في الظاهر للنبي ﷺ إلا أن الخطاب من الله تعالى لنبيه على ثلاثة أقسام:

الأول: خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ، والمراد منه النبي ﷺ فقط، كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ النَّبِيِّاتِ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

(١) تعريف القاضي أبي يعلى الحنبلي في كتابه: «العدة في أصول الفقه» (١/ ٧٦).

(٢) هذه الزيادة من تعريف الجويني في كتابه «الورقات».

(٣) الدرر السنية (٢/ ٢٤٤) من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢٣٢).

الثاني: خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ، والمراد منه النبي ﷺ والأمة، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُئَسُّ الْمَصِيبُ﴾ [التحریم: ٩].

الثالث: خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ، والمراد منه الأمة، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١].

قال البغوي رحمه الله: قوله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبت عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازدد علما على علمك. ا.هـ^(١).

ولا شك أن العلم بهذه الكلمة - لا إله إلا الله - يُبنى عليه العمل، فأى عمل بعيد عن العلم بهذه الكلمة فهو باطل، وهو على قسمين:

الأول: رجل يعمل عمل هذه الكلمة ولا يعلم معناها، فعمله مردود عليه، كرجل يعمل أعمال خير إلا أنه لا يشهد أن لا إله إلا الله، فعمله للخير لم يقبل، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

(١) تفسير البغوي (٤/٢١٥).

الثاني: رجل يقول لا إله إلا الله، ويصرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، ويعمل أعمال خير، فهذا لم يعلم معنى هذه الكلمة العظيمة لأنه صرف العبادة لغير الله تعالى، فهذا - أيضاً - أعماله باطلة ومحبطة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحِطَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فالعلم بهذه الكلمة أمر متحتم ينبني عليه عمل الإنسان، والعلم يقتضي الإقرار والشهادة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]؛

قال البغوي - رحمه الله تعالى - : وأراد بشهادة الحق: قول لا إله إلا الله، كلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به ألسنتهم. ا.هـ^(١).

قال ابن الجوزي: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله، وهي كلمة الإخلاص، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به ألسنتهم. ا.هـ^(٢).

وبعد هذا الكلام نعلم أن العلم وحده لا ينفع إلا إذا اقترن بالعمل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، فقدّم العلم عن العمل، قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - : باب: العلم قبل القول والعمل. ا.هـ^(٣).

(١) تفسير البغوي (٤/ ١٧١).

(٢) زاد المسير (٤/ ٨٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، الباب العاشر.

والعلم بهذه الكلمة - لا إله إلا الله - هو الذي يُنتج العمل الصالح الذي يكون سببا في دخول صاحبه الجنة، كما قال النبي ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ الْعِلْمُ لا بد فيه من إقرار القلب، ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه. ١. هـ^(٢).

وأما العلم الذي لم يُنتج عنه قول وعمل فليس بشيء، وحديث وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ ليس منا ببعيد، فقد روى الشيخان عن المسيب بن حزن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد «عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك» فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية، وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]^(٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٦).

(٢) تفسير السعدي، ص (٩٢٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٣٦٠)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٤).

فأبو طالب كان يعلم جيدا أن لا إله إلا الله، وكان حاميا للنبي ﷺ ودرعا له ومع ذلك أبى أن يقول لا إله إلا الله مخافة أن تُعيرَه قريش، كما روى ذلك أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة»، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررتُ بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] (١).

وقد قال أبو طالب أبياتٍ يُظهر فيها حمايته للنبي ﷺ ويمدح فيها ما جاء به ﷺ وبين لما لم يتبعه، فقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دфина
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وأبشر وقرَّ بذاك منك عيوننا
ودعوتني، وعرفتُ أنك ناصحي	ولقد صدقتَ، وكنتَ ثمَّ أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك مينا (٢)

وقال:

لعمري لقد كُلفتُ وجدا بأحمد	وإخوته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل	إذا قاسه الحكام عند التفاضل؟
حليم رشيد عادل غير طائش	يوالي إهاليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسببة	تُجر على أشياخنا في المحافل
لكننا اتبعناه على كل حالة	من الدهر جدا، غير قول التهازل

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٥) مكرر.

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص (٩٥-٩٦).

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا، ولا يعنى بقول الأباطل
 حذبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل^(١)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: ومن أشهر ذلك: قصة عمه أبي طالب لما حماه بنفسه وماله وعباله وعشيرته. وقاسى في ذلك الشدائد العظيمة. وصبر عليها، ومع ذلك كان مصدقاً له، مادحا لدينه، محبا لمن اتبعه، معادياً لمن عاداه، لكن لم يدخل فيه. ولم يتبرأ من دين آبائه، واعتذر عن ذلك بأنه لا يرضى بمسبة آبائه. ولولا ذلك لاتبَّعه. ولما مات - وأراد النبي ﷺ الاستغفار له - أنزل الله عليه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

فيا لها من عبرة ما أبينها! ومن عِظة ما أبلغها! ومن بيان ما أوضحه! لما يظن كثير ممن يدعي اتباع الحق فيمن أحب الحق وأهله، من غير اتباع للحق، لأجل غرض من أغراض الدنيا. ا.هـ^(٢).

«وهذا العلم الذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله - فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كلُّ مضطر إلى ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسماؤه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته، فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

(١) المرجع السابق، ص (٩٩).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٤-٣٥).

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدينية، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَيَاطِنَةُ﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال: ﴿وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [النحل: ١٨]، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالله تعالى ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي تعبد من دون الله، وأُنْخِذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعبديها نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا ينصرون من عبدتهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولا ورأياً وصواباً، وعلمياً - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون - قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، ويديع حكمته، وغرائب خلقه.

التاسع: التفكير والتدبر في آياته ومخلوقاته، مما يدل على أنه المستحق بالعبادة وحده لا يُشرك معه أحد في عبادته، كما أنه لم يُشرك معه أحد في خلقه ومملكه وأمره.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده علم بذلك ويقين، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد -على تكرر الباطل والشبه- إلا نموا وكمالا.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره^(١).

والعقيدة التي تنبني على علم بخلاف التي لا تنبني أو تُبنى على جهل وضلال، ولهذا قرن الله تعالى شهادة أولي العلم بشهادته في وحدانيته سبحانه فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَرِيضُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

○◀○▶○

(١) تفسير السعدي، ص (٩٢٨-٩٢٩)، بتصرف.

فصل

وَضد العلم الجهل

والجهل هو: تبين المعلوم على خلاف ما هو به^(١)؛ وقيل: تصور الشيء على خلاف ما هو به^(٢).

والجهل بهذه الكلمة «لا إله إلا الله» من أجهل الجهل فإن الله تبارك وتعالى ذمّ الذين يعتنون بعلوم الدنيا وهم غافلون وجاهلون بالعلوم الشرعية التي هي الوسيلة للنجاة من النار والفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

والجهل لا يُحِبُّ أن ينتسب إليه أحد لأنه مذمة، وإن كان بعضه لا يُذمُّ صاحبه، أما الجهل بالأمور الأساسية التي تُطلب من كل إنسان كتوحيد الله تبارك وتعالى فهذا مذموم؛

والجاهل بهذا على أنواع:

الأول: أن يكون الخطاب الذي يُخاطب به على غير لغته، فلا يدري ما يُقال له، فكأنه أصم.

الثاني: أن يكون في بادية بعيدة لم يسمع بهذا الدين من قبل.

الثالث: أن يكون على دين معين وظن أن هذا هو الحق وأن ما عداه هو الباطل، وعاند في ذلك وتكبر.

(١) العدة في أصول الفقه (١/٨٢).

(٢) متن الورقات في أصول الفقه.

الرابع: أن يكون قد سمع بدين الإسلام والاستقامة عليه وبمن يدعو إليه ويؤمن به لكنه خالف ما جاء به الإسلام - وإن نطق الشهادتين - وأعرض عنه.

فأما الأول والثاني فلم تقم عليهما حجة الإسلام، وحكمتها في الدنيا أنهما كافرين، يعاملان معاملة الكفار، لأنهما لم يدخلوا في الإسلام، والله عز وجل لن يقبل دينا غير دين الإسلام، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ولحديث النبي ﷺ: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة»^(١)، وقد قال النبي ﷺ - أيضا - لعمر رضي الله عنه: «يا ابن الخطاب، اذهب فناد في الناس، أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»^(٢).

وأما حكمهما في الآخرة، فيختبران يوم القيامة - على الصحيح -، ولن يعذبا في أول الأمر لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولما دلَّ على ذلك حديث النبي ﷺ، قال: «أربعة يوم القيامة يعني يدلون على الله بحجة رجل أصم لا يسمع، ورجل أحمق، ورجل هَرَم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب، لقد جاء الإسلام والصبيان يحدفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في فترة فيقول: رب ما آتاني الرسول، فيأخذ موثيقهم ليطيعنه ويرسل إليهم أن ادخلوا

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٢٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٢١) مكرر.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١١٤).

النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها ما كانت عليهم إلا بردا وسلاماً^(١).

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - : فهي - أي: الحديث السابق وشواهد ومروياته - تفصيل لما أخبر به القرآن أنه لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه، وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله في الدنيا، فلا بد أن يقم حجته عليهم، وأحق المواطن أن تقام فيه الحجة يوم يقوم الأشهاد، وتسمع الدعاوى، وتقام البيّنات، ويختصم الناس بين يدي الرب، وينطق كل أحد بحجته ومعذرتة، فلا تنفع الظالمين معذرتهم وتنفع غيرهم^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل. ا.هـ^(٣).

وقال - رحمه الله تعالى - أيضاً: والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل. فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إما عناداً وإما جهلاً وتقليداً لأهل العناد. ا.هـ^(٤).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم (١٦٣٠١ - ١٦٣٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٥٧)، والبيهقي في الاعتقاد، باب: القول في الأطفال أنهم يولدون على فطرة الإسلام، ص (١٨٤ - ١٨٥)، وغيرهم؛ وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

(٢) أحكام أهل الذمة، لابن القيم (٢/ ١١٤٩ - ١١٥٠).

(٣) طريق المهجرتين، ص (٤١٤).

(٤) المرجع السابق، ص (٤١١).

وأما الثالث: فهذا كافر، يجب عليه ما يجب على الكفار، وذلك لأنه تدين بغير الإسلام وظن أن دينه هو الحق ونافح في ذلك وعاند وتكبر، وقد يفرح بما عنده من العلم، كما قال الله في مثل هذا ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر: ٨٣]، وقد يكون عنده حجج واهية كما قال بعضهم: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فهذا وأمثاله لا يُطلق عليهم جهال بل يُقال: معاندون. ويقال على كفرهم أنه: كفر عناد.

وأما الرابع: فهو مثل الثالث، لكن كفره كفر إعراض وليس عناد، كما قال الله تعالى عن مثل هؤلاء: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا بِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣]، وقال: ﴿ كَتَبْنَا فُصُلًا مِّنْ آيَاتِنَا فَذَرَاهُنَا بَاطِلًا يُعْلَمُونَ ﴾ [٣-٤] وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحججة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض والثاني

كفر عناد. اهـ.^(٢)

○ + ○ + ○

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) طريق المهجرتين، ص (٤١٤).

فصل

بيان حكم مقلد الكفر

وأما المقلد للكافرين العامي الذي لا يفقه في الدين فلا بد - هنا - من تفصيل يزول به الإشكال إن شاء الله تعالى:

المقلد للكافرين على قسمين - والقسمان واقعان في الوجود -:

الأول: مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق، فأعرض عنه؛ فهذا مفرط معرض تارك للواجب عليه، لا عذر له عند الله تبارك وتعالى.

الثاني: مقلد لم يتمكن من العلم ومعرفة الحق، وعاجز عن السؤال والعلم، فهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: مرید للهدى مؤثر له محب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم مرشد للخير، فهذا حكمه حكم أرياب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة، ويقول: يا رب لو أعلم لك دين خير مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي.

«فإن قيل: فأنتم تحكمون لهم بأحكام الكفار في الدنيا من التوارث، والولاية، والمناكحة، قيل: إنما نحكم لهم بذلك في أحكام الدنيا لا في الثواب، والعقاب»^(١).

الثاني: معرض لا إرادة له ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه، وراض بما هو عليه، لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه

(١) ما بين القوسين من كتاب: أحكام أهل الذمة (٢ / ١١٥٧).

وقدرته؛ فهذا لا يحق أن يلحق بالأول لما هو عليه من الإعراض والفرق الذي بينهما.

وكلاهما عاجز، فالأول: كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزاً وجهلاً.

والثاني: كمن لم يطلبه، بل مات في شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض.

فتأمل هذا الموضوع، والله يقضى بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسول، فهذا مقطوع به في جملة الخلق^(١).



(١) هذا الفصل مُستفاد من كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «طَرِيقَ الْمُهْجَرَتَيْنِ»، ص (٤١٢-٤١٣).

فصل

مَنْ فَعَلَ الشَّرْكَ فَهُوَ مُشْرِكٌ

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه:
باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك^(١).

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فكل من غلا في حي؛ أو في رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي، أو يعبد بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى؛ مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي؛ أو أنا في حسبك؛ أو نحو هذه الأقوال والأفعال؛ التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل^(٢).

وقال: والمرتد من أشرك بالله تعالى - إلى أن قال - أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم ومن شك في صفة من صفات الله تعالى ومثله لا يجهلها فمرتد^(٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ يتأمل المسلم الذي قصده اتباع أمر الله ورسوله، ما ذكره هؤلاء العلماء، وحكوا عليه إجماع المذاهب كلها، في أناس يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، وأهل عبادة، لكنهم

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، الباب الثاني والعشرون.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٩٥) باختصار.

(٣) المرجع السابق (٥/٥٣٥) باختصار.

يعتقدون في بعض الأولياء، مثل عبد القادر، ومعروف الكرخي وغيرهما، ويتعلقون عليهم، يقولون: لهم جاه عند الله، كيف حكى العلماء إجماع المذاهب، على أن من فعل ذلك فهو كافر، ولو كان زاهداً. هذا الذي أنا طالب منهم، وأعظم من أن الرافيضي إذا سب الشيخين، فقد توقف الإمام أحمد في تكفيره.

وأما إذا اعتقد في علي أو الحسين فهو كافر، مع كونه يشهد أن لا إله إلا الله. أتظنون أن هذا في قوم مضوا؟! أتقولون الصحابة أراهم يكفرون أهل الإسلام؟! أم تظنون أن الذين يعتقدون في علي لا يشهدون أن لا إله إلا الله؟! فرحم الله امرأً نصح نفسه، ونصر الله ورسوله ودينه، ولم تأخذه في الله لومة لائم، والله أعلم^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فتفكر - رحمك الله - فيما حدث في الناس اليوم، من دعاء غير الله في الشدة والرخاء؛ هذا يريد سفراً، فيأتي عند قبر أو غيره، فيدخل عليه بما له، عمن ينهبه، وهذا تلحقه الشدة، في البر، أو البحر، فيستغيث بعبد القادر، أو شمسان، أو نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، أن ينجيه من هذه الشدة.

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الإله هو: المعبود، وتعرف أن الدعاء من العبادة، فكيف تدعو مخلوقاً، ميتاً، عاجزاً؟! وتترك الحي، القيوم، الحاضر، الرؤوف، الرحيم، القدير؟! فقد يقول - هذا المشرك -: إن الأمر بيد الله، ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله، وتنفعني شفاعته وجاهه؛ ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك.

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الأصنام، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم، كلهم يعتقدون أن الله هو النافع، الضار، الذي

(١) الدرر السنية (١٠/١٩ - ٩٠).

يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرتني، أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن الله تعالى: إنما أرسل الرسل ليعبدوه وحده، لا يجعلوا معه إلهاً آخر^(٢).

وتقدم معنا كلام الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: ومن قال: لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر، كدعاء الموتى والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالندور، والذبائح، فهذا مشرك، شاء أم أبى، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، و﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومع هذا فهو شرك، ومن فعله فهو كافر. ا.هـ^(٣).

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ:

فلو كان ذا علم كثير وجاهلاً بمدلولها يوماً فبالجهل مرتد^(٤)

قال الشيخ العلامة إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: فقد بلغنا وسمعنا من فريق يدعي العلم والدين ويمن بزعمه مؤتم بالشيخ محمد بن عبد الوهاب إن من أشرك بالله وعبد الأوثان لا يطلق عليه الكفر والشرك بعينه،

(١) المرجع السابق (٢ / ١٠٤)، وقد سمي هذا الجاهل مشركاً - فتأمل -.

(٢) المرجع السابق (٨ / ٢١٣).

(٣) المرجع السابق (٢ / ٣١٣).

(٤) المرجع السابق (١ / ٥٨٢).

وذلك أن بعض من شافهني منهم بذلك سمع من بعض الإخوان أنه أطلق الشرك والكفر على رجل دعا النبي ﷺ واستغاث به، فقال له الرجل: لا تطلق عليه الكفر حتى تُعرفه؛ وكان هذا وأجناسه لا يعبأون بمخالطة المشركين في الأسفار وفي ديارهم، بل يطلبون العلم على مَنْ هو أكفر الناس من علماء المشركين.... - إلى أن قال -: ومن له أدنى معرفة إذا رأى حال الناس اليوم ونظر إلى اعتقاد المشايخ المذكورين تحير جدا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك أن بعض من أشرنا إليه باحثته عن هذه المسألة فقال: نقول لأهل هذه القباب الذين يعبدونها ومن فيها فعلك هذا شرك وليس هو بمشرك؛

فانظر ترى العجب واحمد ربك واسأله العافية فإن هذا الجواب من بعض أجوبة العراقي^(١) التي يرد عليها الشيخ عبد اللطيف^(٢) ١.١.هـ.^(٣).

وقال أيضًا: ونحن نقول الحمد لله وله الثناء ونسأله المعونة والسداد ولا نقول إلا كما قال مشايخنا: الشيخ محمد في إفادة المستفيد^(٤) وحفيده في الرد على العراقي^(٥)، وكذلك هو قول أئمة الدين قبلهم، ومما هو معلوم بالإضطرار من دين الإسلام أن المرجع في مسائل أصول الدين إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة

(١) يقصد داود بن جرجيس الذي يدافع عن عبّاد القبور ويزعم أنهم من أهل السنة، وكذب في ذلك.

(٢) هو الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، ورد على المدعو أنفا في كتاب قيم سماه «منهاج التأسيس والتقدّيس في كشف شبهات داود بن جرجيس». ط. دار الهداية بالرياض.

(٣) رسالة: حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجّة وفهم الحجّة، للعلامة إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص (٧-٨) ط. دار الهداية بالرياض.

(٤) كتاب «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.

(٥) يقصد كتاب «منهاج التأسيس والتقدّيس»، وقد تقدم ذكره، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

المعتبر وهو ما كان عليه الصحابة وليس المرجع إلى عالم بعينه في ذلك، فمن تقرر عنده هذا الأصل تقريراً لا يدفعه شبهة وأخذ بشراشير قلبه هان عليه ما قد يراه من الكلام المشتبه في بعض مصنفات أئمة إذ لا معصوم إلا النبي ﷺ، ومسألتنا هذه وهي: عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه، وأن من عبَدَ مع الله غيره فقد أشرك الشرك الأكبر الذي ينقل عن الملة هي أصل الأصول وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وقامت على الناس الحججة بالرسول والقرآن، وهكذا تجد الجواب من أئمة الدين في ذلك الأصل عند تكفير من أشرك بالله فإنه يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل لا يذكرون التعريف^(١) في مسائل الأصول إنما يذكرون التعريف في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض المسلمين كمسائل نازع بها بعض أهل البدع كالقدرية والمرجئة أو في مسائل خفية كالصرف والعطف، وكيف يُعرّفون عبّاد القبور وهم ليسوا بمسلمين ولا يدخلون في مسمى الإيمان؟! وهل يبقى مع الشرك عمل؟! والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] إلى غير ذلك من الآيات؛ ولكن هذا المعتقد يلزم منه معتقد قبيح وهو أن الحججة لم تقم على هذه الأمة بالرسول والقرآن نعوذ بالله من سوء الفهم الذي أوجب لهم نسيان الكتاب والرسول، بل أهل الفترة الذين لم تبلغهم الرسالة والقرآن وماتوا على الجاهلية لا يُسمون مسلمين بالإجماع ولا يُستغفر لهم، وإنما اختلف أهل العلم في تعذيبهم في الآخرة، وهذه الشبهة التي ذكرنا قد وقع مثلها أو دونها لأناس في زمن الشيخ

(١) أي: التعريف بأنهم مسلمون.

محمد رَحْمَةُ اللَّهِ ولكن مَنْ وقعت له يراها شبهة ويطلب كشفها، وأما مَنْ ذكرنا فإنهم يجعلونها أصلاً ويحكمون على عامة المشركين بالتعريف - أي: بإسلامهم - ويجهلون مَنْ خالفهم، فلا يوقفون للصواب لأن لهم في ذلك هوى وهو مخالطة المشركين^(١) - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا - الله أكبر ما أكثر المنحرفين وهم لا يشعرون. ا.هـ^(٢).

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحْمَةُ اللَّهِ: ولقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسألة الوسائط: فمن جعل الملائكة أو الأنبياء وسائط، يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكربات، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين، إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط الذين يكونون بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، بمعنى: أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبا منهم، أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

فانظر قوله: فهو كافر بإجماع المسلمين، فيجزم بكفر مَنْ هذه حاله، وأنه إجماع المسلمين، ولم يقل في هذا الموضوع لم يمكن تكفير من فعل ذلك حتى يبين له

(١) قلت: أو لعدم اعترافهم بما كان عليه آباؤهم من الكفر والشرك أو ما كانوا عليه هم أنفسهم.

(٢) رسالة: حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجّة وفهم الحجّة، للعلامة إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ ص (٩-١١).

ما جاء به الرسول، وقوله: فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فجزم بكفره قبل الاستتابة.

وهذا الذي ذكر الشيخ أن من فعله كافر بإجماع المسلمين، هو الذي يفعل اليوم عند هذه المشاهد المشهورة في أكثر بلاد الإسلام، بل زادوا على ذلك أضعافه، وضموا إلى ذلك الذبح والنذر لهم، وبعضهم زاد السجود لهم في الأرض.

فتقول: كل من فعل اليوم ذلك عند هذه المشاهد، فهو مشرك كافر بلا شك، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع؛ ونحن نعلم أن من فعل ذلك ممن ينتسب إلى الإسلام، أنه لم يوقعهم في ذلك إلا الجهل، فلو علموا أن ذلك يُبعد عن الله غاية الإبعاد، وأنه من الشرك الذي حرمه الله، لم يقدموا عليه، فكفّرهم جميع العلماء، ولم يعذروهم بالجهل، كما يقول بعض الضالين: إن هؤلاء معذورون لأنهم جهال.

وهذا قول على الله بغير علم، معارض بمثل قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] الآية، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣] الآيتين. ١. هـ^(١).

قال الشيخ عبد الله، والشيخ إبراهيم ابنا الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان - رحمهم الله جميعا - : وأما الجهمية وعباد القبور، فلا يُستدل بمثل هذه النصوص على عدم تكفيرهم، إلا من لم يعرف حقيقة الإسلام، وما بعث الله به الرسل الكرام، لأن حقيقة ما جاؤوا به - أي: الرسل - ودعوا إليه، وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له، وأن لا يُشرك في واجب حقه أحد من خلقه، وأن يوصف بما وصف به نفسه، من صفات الكمال ونعوت الجلال.

فمن خالف ما جاؤوا به - أي: الرسل -، ونفاه وأبطله، فهو كافر ضال، وإن قال لا إله إلا الله، وزعم أنه مسلم، لأن ما قام به من الشرك، يناقض ما تكلم به من كلمة التوحيد؛ فلا ينفعه التلفظ بقول لا إله إلا الله، لأنه تكلم بما لم يعمل به، ولم يعتقد ما دل عليه^(١).

وفي هذه الأزمان، خصوصًا في جهتكم، قد قامت الحججة على من هناك، واتضح لهم المحجة، ولم يزل في تلك البلاد من يدعو إلى توحيد الله، ويقرره، ويناضل عنه، ويقرر مذهب السلف، وما دلت عليه النصوص من الصفات العلية، والأسماء القدسية، ويرد ما يشبهه به بعض أتباع الجهمية، ومن على طريقتهم، حتى صار الأمر في هذه المسائل؛ في تلك البلاد، أظهر منه في غيرها، ولا تخفى النصوص والأدلة، حتى على العوام؛ فلا إشكال - والحالة هذه - في قيام الحججة وبلوغها، على من في جهتكم من المبتدعة، والزنادقة الضلال.

ولا يجادل في هذه المسألة، ويشبه بها، إلا من غلب جانب الهوى، ومال إلى المطامع الدنيوية، واشترى بآيات الله ثمنا قليلا، والله أعلم^(٢).

○+○+○

(١) المرجع السابق (١٠/٤٣٢).

(٢) المرجع السابق (١٠/٤٣٥).

فصل

الفرق بين قيام الحجة وفهمها

والحجة: وجه الظفر عند الخوصومة^(١)، وقيل: البرهان؛ وقيل: ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي به الظفر عند الخوصومة^(٢).

والمقصود بالحجة -هنا-: هي رسالة النبي محمد ﷺ، وإنزال القرآن العظيم.

وقيام الحجة: أي انقطاع عذر الكفار والمشركين عند الله تبارك وتعالى، ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْاَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعٰذِرُهُمْ وَلَهُمُ الْعٰنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿غافر: ٥٠-٥٢﴾.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اَللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ اِلَيْ هٰذَا الْقُرْءَانُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ اٰيَاتِكُمْ لِتَشْهَدُوْنَ اَنْتَ مَعَ اَللّٰهِ اِلَهَةٌ اٰخْرٰى قُلْ لَا اَشْهَدُ قُلْ اِنَّمَا هُوَ اِلٰهُ وَجِدُّ وَاِنِّيْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ ﴿[الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَهٰذَا كِتٰبٌ اَنْزَلْنَاهُ مُبٰرَكٌ فَاتَّبِعُوْهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ﴿١٥٥﴾ اَنْ تَقُوْلُوْا اِنَّمَا اَنْزَلَ الْكِتٰبُ عَلٰى طٰٓئِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَاِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغٰفِلِيْنَ ﴿١٥٦﴾ اَوْ تَقُوْلُوْا لَوْ اَنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْنَا الْكِتٰبُ لَكُنَّا اَهْدٰى مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدٰى وَرَحْمَةٌ ﴿[الأنعام: ١٥٥-١٥٧]، وقال: ﴿وَمَا كَاَنَ اَللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ اِذْ هَدٰىهُمْ حَتّٰى يَبْيِّنَ لَهُمْ مَّا يَتَّقُوْنَ اِنَّ اَللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿[التوبة: ١١٥]، وقال: ﴿وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا بِلِسٰنٍ قَوْمِيْهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اَللّٰهُ مَنْ يَشَآءُ وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَآءُ وَهُوَ

(١) كتاب العين للفراهيدي (٣/١٠).

(٢) قاله في لسان العرب (٢/٢٢٨).

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال: ﴿لَذِيكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: ١-٢]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخْرِزَ ﴿١﴾ [طه: ١٣٤]، وقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضًا كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها. اهـ.^(٢)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبعد: ما ذكرتم من قول الشيخ^(٣): كل من جحد كذا وكذا، وقامت عليه الحجة، وأنكم شاكون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم، هل قامت عليهم الحجة؟ فهذا من العجب، كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مرارا؟! فإن الذي لم تقم عليه الحجة، هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرف.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١/١١٢).

(٣) يعني: شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة؛ ولكن أصل الإشكال، أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة، وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين، لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر؛ وكفرهم ببلوغها إياهم، وإن لم يفهموها... - إلى أن قال - فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا. إذا علمتم ذلك، فإن هذا الذي أنتم فيه كفر: الناس يعبدون الطواغيت، ويعادون دين الإسلام، فيزعمون أنه ليس ردة، لعلهم ما فهموا الحجة!!! كل هذا بين.

وأظهر مما تقدم: الذين حرّقهم عليّ، فإنه يشابه هذا. وأما إرسال كلام الشافعية وغيرهم، فلا يتصور يأتيكم أكثر مما أتاكم، فإن كان معكم بعض الإشكال، فارغبوا إلى الله تعالى أن يزيله عنكم، والسلام^(١).

فتأمل كلام الشيخ ونسأل الله أن يرزقك الفهم الصحيح وأن يعافيك من التعصب، وتأمل كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنَ فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ وَجَعَلَهُ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي غَلْطٍ مِّنْ غَلْطٍ، وَأَنْ جَعَلَ التَّعْرِيفَ فِي الْمَسَائِلِ الْخَفِيَّةِ وَمِنْ حَكِيمِنَا عَنْهُ فِي أَصْلِ الدِّينِ، وَهَلْ بَعْدَ الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ تَعْرِيفٌ ثُمَّ يَقُولُ هَذَا اعْتِقَادَنَا نَحْنُ وَمَشَائِخُنَا - نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكُورِ - وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ كَثِيرَةٌ جَدًّا فِي مَصْنَفَاتِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ لِأَنَّ عُلَمَاءَ زَمَانِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَنَازِعُونَ فِي تَكْفِيرِ الْمَعِينِ^(٢).

(١) المرجع السابق (٩٣/١٠-٩٥).

(٢) رسالة: حكم تكفير المعين، للشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، ص (٢٠).

فصل

الحكم في تكفير المعين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : وكنت أُبيِّن لهم أننا نقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين. وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهي مسألة «الوعيد» فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية وكذلك سائر ما ورد: من فعل كذا فله كذا. فإن هذه مطلقة عامة. وهي بمنزلة قول من قال من السلف من قال كذا: فهو كذا. ثم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيه: بتوبة أو حسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة.

والتكفير هو من الوعيد. فإنه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة. ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة. وقد يكون الرجل لا يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئا، وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: «إذا أنا ميتٌ فأحرقوني ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليمِّ فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين، ففعلوا به ذلك فقال الله له: ما حملك على ما فعلت. قال خشيتك: فغفر له»^(١) فهذا رجل شك في قدرة الله وفي

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء (٣٤٥٢)، صحيح مسلم، كتاب التوبة (٢٧٥٦).

إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك. والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: مع أي دائما ومن جالسني يعلم ذلك مني: أي من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا عَلِمَ أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطاياها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. ١. هـ^(٢).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: وأما عبارة الشيخ التي لبسوا بها عليك، فهي أغلظ من هذا كله، ولو نقول بها لكفرنا كثيرا من المشاهير بأعيانهم؛ فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة.

فإن كان المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه: أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يُعَدَّرُ به، فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول الله: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

وإذا كان كلام الشيخ، ليس في الشرك والردة، بل في المسائل الجزئيات، سواء كانت من الأصول أو الفروع، ومعلوم أنهم يذكرون في كتبهم في مسائل

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣٠-٢٣١).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٢٢٩).

الصفات، أو مسألة القرآن، أو مسألة الاستواء، أو غير ذلك، مذهب السلف، ويذكرون أنه الذي أمر الله به ورسوله، والذي درج عليه هو وأصحابه، ثم يذكرون مذهب الأشعري أو غيره، ويرجحونه، ويسبون من خالفه.

فلو قدرنا أنها لم تقم الحجة على غالبهم، قامت على هذا المعين الذي يحكي المذهبين، مذهب رسول الله ﷺ ومن معه، ثم يحكي مذهب الأشعري ومن معه؛ فكلام الشيخ في هذا النوع، يقول: إن السلف كفروا النوع، وأما المعين فإن عرف الحق وخالف، كفر بعينه، وإلا لم يكفر. اهـ^(١).

قال الشيخ عبد الله، والشيخ إبراهيم ابنا الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان - رحمهم الله جميعا -: وأما قوله - عن الشيخ محمد^(٢)، رَحِمَهُ اللهُ -: إنه لا يكفر من كان على قبة الكواز، ونحوه، ولا يكفر الوثني حتى يدعو، وتبلغه الحجة، فيقال: نعم؛ فإن الشيخ محمدا رَحِمَهُ اللهُ، لم يكفر الناس ابتداء، إلا بعد قيام الحجة والدعوة، لأنهم إذ ذاك في زمن فترة^(٣)، وعدم علم بآثار الرسالة، ولذلك قال: لجهلهم وعدم من ينبههم، فأما إذا قامت الحجة، فلا مانع من تكفيرهم وإن لم يفهموها^(٤).

قال الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين - رحمه الله تعالى -: ولكن كما قال الشيخ^(٥): لا يقال فلان كافر، حتى يبين له ما جاء به الرسول ﷺ؛

(١) الدرر السنية (١٠/٦٩-٧٠).

(٢) يعني: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -.

(٣) أي: حكمهم حكم أهل الفترة: وهم الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام.

(٤) الدرر السنية (١٠/٤٣٤-٤٣٥).

(٥) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.

فإن أصر بعد البيان، حكم بكفره، وحل دمه وماله^(١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: وأما قول الشيخ - أي: محمد بن عبد الوهاب - في موضع من كلامه، لما ذكر الشرك، قال: ولكن لغلبة الجهل في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ، فالظاهر أن مراده المعين، لجزمه في غير موضع بكفر من فعل الشرك، ولم يتوقف في تكفيره حتى يبين له ما جاء به الرسول ﷺ^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله تعالى -: بقي مسألة حدثت، تكلم بها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو: عدم تكفير المعين ابتداء لسبب ذكره رحمه الله تعالى، أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحججة عليه، قال رحمه الله تعالى: «ونحن نعلم بالضرورة أن النبي لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها؛ كما أنه لم يشرع لأمتة السجود لميت، ولا إلى ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله ﷺ، ولكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يُبين ما جاء به الرسول مما يخالفه». انتهى.

قلتُ: (الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن): فذكر رحمه الله تعالى ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم، على التعيين خاصة، إلا بعد البيان والإصرار فإنه قد صار أمة وحده؛ لأن من العلماء من كفّره، بنهيه لهم عن الشرك في العبادة، فلا يمكن أن يعاملهم بمثل ما قال، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في

(١) المرجع السابق (٢/٣١٣).

(٢) الدرر السنينة (١٠/٤٠٣).

ابتداء دعوته، فإنه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: الله خير من زيد، تمرينا لهم على نفي الشرك بلين الكلام، نظرا إلى المصلحة وعدم النفرة، والله سبحانه أعلم^(١).

فتأمل هذا الموضوع، والله يقضى بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسول، فهذا مقطوع به في جملة الخلق.

وأما كون زيد بعينه وعمرو بعينه قامت عليه الحجة أم لا، فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله عَزَّجَلَّ وحكمه هذا في أحكام الثواب والعقاب. وأما في أحكام الدنيا فهي جارية مع ظاهر الأمر^(٢).

وبالجملة: فيجب على من نصح نفسه، ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله؛ وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخاله فيه، أعظم أمور الدين؛ وقد كُفينا بيان هذه المسألة كغيرها، بل حكمها في الجملة أظهر أحكام الدين؛ فالواجب علينا: الاتباع وترك الابتداع، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»^(٣).

(١) المرجع السابق (٢/ ٢١٠-٢١١).

(٢) من كلام ابن القيم في «طريق الهجرتين» ص (٤١٣).

(٣) البدع لابن وضاح ص (٣٧)، السنة للمروزي ص (٩٢)، سنن الدارمي (٢١١)، الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٢٧) (١٧٤)، وغيرهم.

وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدي بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الإجماع بأنه مسلم.

فيا مصيبة الإسلام من هاتين الطائفتين ومحتته من تينك البليتين!! ونسألك اللهم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين^(١).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -: ولا تصدق في أحد إلا بما سمعت^(٢)، أو نقله من لا يكذب، وانصحه إذا بلغك عنه شيء قبل أن تُنكر عليه، خصوصاً ممن تعرف منه حباً للدين، موافقاً عليه، مجاهداً فيه. والله الهادي، والحمد لله رب العالمين. ١. هـ^(٣).



(١) الدرر السنية (١٠ / ٣٧٤-٣٧٥)، من كلام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ اللهُ، باختصار.

(٢) أي: إلا بما سمعت منه بنفسك.

(٣) الدرر السنية (١ / ١٤٦).

باب الشرط الثاني

وهو: اليقين، وضده: الشك.

أما اليقين: فهو ما أذعنت النفس إلى التصديق به، وقطعت به، وقطعت بأن قطعها به صحيح^(١).

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: اليقين، وهو: كمال العلم بها - أي: بلا إله إلا الله -، المتنافي للشك والريب^(٢).

والمعنى: أن يكون قائلها - أي: لا إله إلا الله - مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما لا يزول بالشك، فإن الإيثار لا يُغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك؟!^(٣).

ولهذا مدح الله تعالى المؤمنين الذين يوقنون، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]؛

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنما المؤمنون الكُمَّل ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا في وحدانية الله وألوهيته وما أخبر عنه، ولا تزلزلوا في إثبات النبوة والرسالة للنبي ﷺ، بل ثبتوا على حالٍ واحدة، وهي التصديق

(١) روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي - رحمه الله تعالى - (٨٣/١) مع شرحها (نزهة الحاضر العاطر).

(٢) الدرر السنية (٢/٢٤٦).

(٣) معارج القبول (٢/٥١٩) بتصرف.

المحض، والعلم الجازم ﴿ وَرَحَّهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، فصدَّق عملهم يقينهم ﴿ أَوْلَيْتِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ أي: في قولهم إذا قالوا: «إنهم مؤمنون». ا.هـ^(١).

وقد قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: اليقين: هو العلم التام الواصل إلى القلب الداعي إلى العمل^(٢).

وروى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضا - أن النبي ﷺ قال له: «فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة»^(٣).
وله عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضا - قال: قال النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة»^(٤).
وفي رواية: «فَيُحَجَّبُ عَنِ الْجَنَّةِ»^(٥).

ومر معنا حديث (سيد الاستغفار) «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت...» الحديث، وقد قال النبي ﷺ في آخره: «ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يُصبح، فهو من أهل الجنة»^(٦).

واعلم - حفظك الله - أن اليقين المطلوب ليس فقط اليقين بألوهية الله - فإن كثيرا من الناس من يتيقن من ذلك منهم طوائف من اليهود والنصارى ومع

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٠) بتصرف.

(٢) تفسير السعدي ص (٦٠٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٧).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٧) مكرر.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الدعوات (٦٣٠٦).

ذلك هم كفار - بل أيضا اليقين بكل ما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ من أساء الله تعالى وصفاته، ومن الغيبات - كعذاب القبر ونعيمه وبالיום الآخر وما سيحدث فيه، وبالجنة ونعيمها وبالنار وعذابها... وغير ذلك من الغيبات - فكل هذا مؤمرون بالجزم به واليقين قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَآخِزُونَ هُنَّ بِبُوقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤-٥]؛

وفي هذا قال عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع^(١)

وأما الكفار والمشركين ومن شابههم فهم في شك دائم لا ينقطع وقد فضحهم الله تبارك وتعالى في مواطن كثيرة في كتابه العزيز فقال: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان: ٩]، وقال: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦]، وقال: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِي﴾ [ص: ٨].

واعلم - وفقنا الله وإياك - أن العبادة مبنية على اليقين إذ لا يصلح التعبد لله تعالى مع الشك فيه، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: فأما اليقين الذي هو صفة العبد فذاك قد فعله من حين عبد ربه ولا تصح العبادة إلا به وإن كان له درجات متفاوتة. ا. هـ^(٢).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد (١١٥٥).

(٢) الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٤١٨).

فصل

أمور تساعد على زيادة اليقين

وهناك أمور تساعد على اليقين وزيادته، منها:

○ الآيات الكونية: قال الله تعالى: ﴿حَمَّ (١) أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا وَمَا يَدَّبُّ مِنْ دَأْبِهِمْ إِلَّا نَسَبٌ مَبْكُورٌ (٢) وَأَنْخَلِفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ (٣) آيَاتُ الْقَوْمِ يَعْقِلُونَ (٤) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ قِيَامِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتُهُ يُؤْمِنُونَ (٥)﴾ [الجنانية: ١-٦].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أنه لا إله غيره^(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هؤلاء يستدلون بالآيات ويفكرون بها ويتفكرون بها ويتفهمون فيرتفعون وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إيماناً تاماً وصل بهم إلى درجة اليقين، فزكى منهم العقول وازدادت به معارفهم وألباهم وعلومهم^(٢).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكر أن هذه الآيات والبراهين إنما ينتفع بها المؤمنون الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه وآياته، فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم^(٣).

وأما الكفار والمشركين ومن مثلهم لا ينتفعون بها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَسَاءُ أُولَئِكَ أَجْرُهُمْ عِلْمٌ زَيْدٌ وَمَا يَكْفُرُونَ (١)﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢)﴾

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢٤١).

(٢) تفسير السعدي ص (٧٧٥)، بتصرف.

(٣) أضواء البيان، للعلامة الشنقيطي (٧/ ١٧٩).

[يونس: ٩٦-٩٧]، وقال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، وقال: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَكِّيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلٰكِن كَثَرْتُمْ يٰجَهْلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]... وغيرها كثير؛ والآيات هنا تشمل الكونية والشرعية.

○ ومنها الآيات الشرعية «القرآن الكريم»: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢-٤]، وقال: ﴿هٰذَا بَصَیْرٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]، وقال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]... وغيرها من الآيات.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وخبرُ الله الخبر الذي لا يُعذر سامعه بالشك فيه، وقد يحتمل غيره من الأخبار ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب، وذلك منفي عن خبر الله عَزَّجَلَّ. هـ. (١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً^(١).

فكل مؤمن قد عرف من آيات الله الباهرة وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين واندفع عنه كل شك وريب^(٢).

○ ومنها الآيات العيانة المشاهدة: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٣]؛

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَمِعَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

(١) تفسير السعدي، ص (١٨٩).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٤).

وما نراه من الآيات العيانة من عالمنا كشجر على هيئة ساجد أو راکع، أو سُحْبُ تُكُونُ اسم (الله)، أو تسمع بعض الحيوانات والطيور وهي تنطق اسم (الله)... وغير ذلك من الآيات المشاهدة.

○ ومنها الغيبات التي أخبر عنها الشارع وتحققت، مثل حال الأمة في هذا الزمن وما أخبر به النبي ﷺ عنها، كما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخَلَصَةِ». وذو الخَلَصَةِ طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية^(١).

وكحديث عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليلُ والنهارُ حتى تُعبد اللَّاتُ والعزَّى»^(٢).

وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال: «التبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»^(٣).

وحديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها». قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غناء كغناء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن». قال: قلنا:

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن (٧١١٦)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٧).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء (٣٤٥٦)، صحيح مسلم: كتاب العلم (٢٦٦٩)

وما الوهن؟ قال: «حب الحياة وكرهية الموت»^(١).

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء، فإنه لا يرد، ولا أهلكتهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»^(٢).

(١) حسن: رواه أبو داود، كتاب الملاحم (٤٢٩٧) من طريق أبي عبد السلام الدمشقي عن ثوبان به، وأبو عبد السلام هو صالح بن رستم الدمشقي، مجهول، لكن تابعه عن ثوبان أبو أسماء الرحبي، فروى الحديث عنه الإمام أحمد في مسنده، برقم (٢٢٣٩٧) من طريق مرزوق أبي عبد الله الحمصي نا أبو أسماء الرحبي عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، ومرزوق أبو عبد الله الحمصي قال عنه يحيى بن معين: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وأبو أسماء الرحبي ثقة روى له مسلم والأربعة، وعلى هذا يكون الحديث حسنا. والله أعلم

(٢) صحيح: رواه أبو داود في السنن، كتاب الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، والإمام أحمد في المسند، برقم (٢٢٣٩٥)، وغيرهما، وبعضه في الصحيحين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام»^(١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتِل»^(٢).

○ ومنها الحجج القاطعة والبراهين النافعة: قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِئْسَ لَآ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٣-٣٦].

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون﴾ قال: كاد قلبي أن يطير»^(٣).

وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركا، وكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك^(٤).

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع (٢٠٨٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة (٢٩٠٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٨٥٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٤٣٧).

وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَّسَلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٩].

فصل

الثبات على الحق دليل على اليقين

واعلم - حفظك الله - أن اليقين درع حصين أمام أي شبهة، وإن لم يستطع العبد رد الشبهة فمعه ما يحميه من الشبهة - بفضل الله تعالى - وهو اليقين.

واعلم - وفقنا الله وإياك - أن الذي لا يوقن لا يثبت، لأنه صفر اليقين أو قليل، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وقد حذر الله من هذا ومثله، فقال: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فإن الخفيف لا يثبت بل يطيش، وصاحب اليقين ثابت. يقال: أيقن. إذا كان مستقرا، واليقين: استقرار الإيمان في القلب علما وعملا، فقد يكون علم العبد جيدا، لكن نفسه لا تصبر على المصائب بل تطيش. قال الحسن البصري: إذا شئت أن ترى بصيرا لا صبرا له رأيت، وإذا شئت أن ترى صابرا لا بصيرة له رأيت فإذا رأيت بصيرا صابرا فذاك، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]. هـ (١).

ووصف الله تعالى فرعون وقومه بهذا وذمهم، فقال سبحانه: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتْسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]. وقال: ﴿ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود: ٩٧].

○ ← ○ ← ○

(١) المستدرک علی مجموع الفتاوی (١/١٩٧).

فصل

اليقين وحده لا ينفع

قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وقد كان بنو إسرائيل على يقين برسالة النبي ﷺ ونبوته ومع ذلك لم يؤمنوا بل جحدوا واستكبروا في الأرض بغير الحق، وقد قال الله تبارك وتعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠-٢١].

وروي عن صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها أنها قالت: كنت أحب وولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقها قط مع ولد لها إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي، حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلَّسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالأين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي، حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله: قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال:

عداوته والله ما بقيت^(١).

وروي عن صفوان بن عسال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي فقال صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات. فقال لهم: «لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت»، قال: فقبلوا يديه ورجليه. فقالا: نشهد أنك نبي. قال: «فما يمنعكم أن تتبعوني؟» قالوا: إن داود دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود^(٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام» قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «أفرايتم إن أسلم عبد الله» قالوا: أعاده

(١) سيرة ابن هشام (٢/١١٩)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/٥٣٣)، السيرة النبوية لابن كثير (٢/٢٩٨)، ويبن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وبين صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مجهول.

(٢) سنن الترمذي، الاستئذان والآداب (٢٧٣٣)، سنن النسائي، كتاب تحريم الدم (٤٠٧٨)، وغيرها من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال به، وعبد الله بن سلمة متكلم فيه، قال البخاري: لا يتابع في حديثه. وقال أبو حاتم: تعرف وتنكر. وقال شعبة عن عمرو بن مرة: كان يحدثننا فنعرف وننكر، كان قد كبر. وقال ابن عدي: أرجو لا بأس به. ولهذا قال عنه ابن حجر في التقريب: صدوق تغير حفظه. اهـ. ومثله يصلح في المتابعات، ولا يتابع له، وعلى هذا فالحديث: ضعيف الإسناد. والله أعلم.

الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه^(١).

وكذلك ما كان من النصراري وعظيمهم هرقل، فقد روى الشيخان عن أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه أن هرقل قال له: فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه^(٢).

وقال رضي الله عنه: فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيوان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي أنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل^(٣).

وكان أبو جهل يعلم ويتيقن من نبوة ورسالة النبي ﷺ ومع ذلك لم تنفعه، فقد روى محمد بن إسحاق في سيرته عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ، إني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله، إني أدعوك إلى الله، فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا، هل تريد إلا أن تشهد أن قد بلغت، فنحن نشهد أن قد

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء (٣٣٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي (٧)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٧٣).

(٣) هذه الزيادة انفرد بها البخاري عن مسلم.

بلغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقاً ما تبعتك، فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم؛ قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم؛ قالوا: فينا اللواء، قلنا: نعم؛ قالوا: فينا السقاية: قلنا: نعم؛ ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي فلا والله لا أفعل^(١).

وسبق معنا حديث أبي طالب عم النبي ﷺ وما كان موقفه من الرسالة وما معه من العلم واليقين ومع ذلك لم ينتفع بهما في شيء.

○◀○◀○

(١) كتاب السيرة لابن إسحاق ص (٢١٠)، والمصنف لابن أبي شيبة (٧/٢٥٥)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٠٧) كلهم عن زيد بن أسلم عن المغيرة رضي الله عنه ولم يسمع زيد من المغيرة، وروى ابن إسحاق عن الزهري مرسلًا قصة قرية منها، والله أعلم.

فصل

وَضد اليقين الشك

والشك: هو تجويز أمرين، لا مزية لأحدهما على الآخر^(١).

والشك من صفات الكافرين والمشركين والمنافقين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَنبِيُّ شَكٍّ مِّنهُ مُرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٤]، وكثيرا ما كانوا يقولون لرسولهم أنهم في شك مما أرسلوا به، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [إبراهيم: ٩].

ولما كان الشك من صفات هؤلاء أراد الشيطان - وما زال - أن يكون للعبد نصيب منه، ولهذا حذر النبي ﷺ من هذا أشد التحذير، فقال: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقول: الله، فمن خلق الله؟ - وفي رواية: حتى يقول له: من خلق ربك؟»^(٢) فانظر كيف يريد الشيطان أن يوقع العبد في الشك؟ لهذا أوجد النبي ﷺ العلاج من هذا في نفس الحديث، فقال ﷺ: «فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله ولينته»، وفي رواية: «فمن وجد من ذلك شيئا، فليقل: آمنت بالله»، وفي أخرى «ورسله»^(٢).

(١) العدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى الحنبلي (١/٨٣)، والورقات، للجويني.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق (٣٢٧٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٣٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٣٤) مكرر، وانظر ما بعده.

فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ:

١- يستعذ بالله.

٢- يقول آمنت بالله ورسله.

٣- يكف عن الخوض في هذه المسألة ومثلها.

ومن جرَّه الشيطان للشك ولما يريد - والعياذ بالله - فهذا الذي صدق فيه

قول ربنا: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿ [سبا: ٢٠-٢١]، فياربِّ ثبِّتْنَا عَلَى الْحَقِّ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْفِتَنِ وَمُضَلَّاتِهَا.

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿ [الكهف: ٣٥-٣٦].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى ذكره: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ وهي بستانه ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وظلمه نفسه: كفره بالبعث، وشكُّه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه، وقوله: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ يقول جل ثناؤه: قال لما عاين جنته، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزرورع والأنهار المطردة شكًّا في المعاد إلى الله: ما أظنُّ أن تبِيدَ هذه الجنة أبدًا، ولا تفنى ولا تخرب، وما أظنُّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شكِّ منه، فقال: ﴿وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي﴾ فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه ﴿لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ يقول: لأجدنَّ خيرًا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعًا ومردًا، يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده

أفضل منها في المعاد إن رددت إليه^(١).

لأنني مُحظي عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَ﴾ [فصلت: ٥٠]، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] أي: في الدار الآخرة، تآلى على الله، عزَّ وجلَّ^(٢).

فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم حظاً من العقل، فأبي: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفياؤه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب^(٣).

○◀◀◀○

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٢ / ١٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١٥٨ / ٥).

(٣) تفسير السعدي، ص (٤٧٧).

فصل

دحض شبهة تتعلق بالشك

الشبهة الأولى: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد شكَّ في قدرة الله تعالى ولذلك طلب منه أن يريه كيف يحيى الموتى كما في الآية ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّيُطْمِئِنَنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] ولحديث «نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّيُطْمِئِنَنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]»^(١).

والجواب عليها: أولاً: نحن نُسَلِّمُ بأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خليلُ الرحمن وهو من أولي العزم من الرسل وهو أبو الأنبياء، ونعلم تمام العلم ونتيقن أن الشك بعيد كل البعد عن أي نبي ورسول فضلاً عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: ليس المراد هاهنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده، بلا خلاف - عندنا - وقد أجيب عن هذا الحديث بأجوبة^(٢):

قال الجمهور: لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى^(٣)، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٣٣٧٢)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٨٩).

(٣) تفسير ابن جزى الموسوم بـ«التسهيل لعلوم التنزيل» (١/١٢٣).

(٤) فتح القدير، للشوكاني (١/٣٢٣).

وأما الحديث: «نحن أولى بالشك من إبراهيم»: فليس في قوله ﷺ - هذا - اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكن فيه نفي الشك عنهما، يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فأبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ﷺ ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تعرض من جهة الشك، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال^(١)، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم^(٢)، وكما قال النبي ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»^(٣).

وإذا تأملت في جواب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لربنا عند قوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وجدت أنه أثبت لنفسه الإيـان، والإيمان منافع للشك، كيف لا وقد قال للنمرود ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؟ ثم إنه يسأل ربنا عن الكيفية، ألم تر أنه قال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾، فأراد أن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين.

«والاستفهام بكيف إنما هو عن حال شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول، نحو قولك: كيف علم زيد؟ وكيف نسج الثوب؟ ونحو هذا، ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فإنما السؤال عن حال من أحواله، وقد تكون كَيْفَ خبراً عن شيء شأنه أن يستفهم عنه، كَيْفَ نحو قولك: كيف شئت فكن،

(١) من كلام أبي سليمان الخطابي، نقلنا عن البغوي في تفسيره (٣٢٣/١) باختصار.

(٢) تفسير ابن عطية (٣٥٢/١).

(٣) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم (١٨٤٢) و(٢٤٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٢١٣)، والحاكم في المستدرک (٣٥١/٢)، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم. ١. هـ.

ونحو قول البخاري: كيف كان بدء الوحي، وكيف في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر^(١). فالشك يبعد على من ثبتت قدمه في الإيمان فقط، فكيف بمرتبة النبوة والحلة، والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً^(٢).

الشبهة الثانية: أن النبي محمداً عليه الصلاة والسلام قد شكّ ولذلك قال الله له: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

والجواب عليها: أولاً: إن ما عندنا من يقين ثابت في وحدانية الله تبارك وتعالى وفي كلامه العظيم وحكمه القويم ورسوله المجتبي الأمين يجعلنا لا نرتاب لحظة في يقين رسولنا ﷺ فيما أنزل إليه من ربنا تبارك وتعالى، وإذا كنا كذلك بما عندنا من اليقين فكيف بنبينا محمد ﷺ الذي أمرنا ربنا أن نتأسى به ونقتدي!!؟ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فسبحان الله ما أكثر الجهل في زماننا..

ثانياً: وأما من الجهة العلمية فيرد على هذا الافتراء من وجوه:

١- لم يكن ﷺ شاكاً في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالماً - قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شكٍ مِنْ رَبِّي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤] - ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضاً، إذ كان القرآن بلسانهم نزل^(٣).

(١) تفسير ابن عطية (١/٣٥٣).

(٢) المرجع السابق (١/٣٥٣).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/٢٠٣)، بتصرف.

والمعنى: لو كنت ممن يلحقه الشك فيما أخبرناك به فسألت أهل الكتاب لأزالوا عنك الشك^(١)، وهذا على وجه الفرض والتقدير^(٢).

٢- سبق معنا أن خطاب الله لنبيه ﷺ على أنواع، منها خطاب الله تعالى لنبيه والمراد به غيره، ومن هذا النوع هذه الآية، ويكون الخطاب لهذين أو لأحدهما:
الأول: من كان من الكفار غير قاطع بتكذيب النبي ﷺ ولا بتصديقه، بل كان في شك^(٣).

الثاني: هذا الخطاب مع أهل الشك - ممن يتتسب للإسلام - معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد ﷺ، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك^(٤).

٣- قيل أن: ﴿فَإِنْ﴾: نافية بمعنى (ما) وروي ذلك عن الحسن^(٥)، فالمعنى: ما كنت في شك فستل، المعنى: لسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاك، ولكن لتزداد بصيرة، ذكره الزجاج^(٦).

والجمهور على أن «إن» شرطية^(٧)، فيكفي بما رددنا عليه قبل هذه النقطة؛ ويقال - أيضا - : لا يفهم من هذه الآية ثبوت شك له ﷺ، فإن صدق الشرطية

(١) فتح القدير (٢/٥٣٨).

(٢) نقله ابن الجزري عن بعضهم في تفسيره (١/٣٦٣).

(٣) نقله الشوكاني عن القتيبي، فتح القدير (٢/٥٣٨).

(٤) تفسير البغوي (٤/١٥٠).

(٥) قاله ابن عطية في تفسيره (٣/١٤٢).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٢/٣٥٠).

(٧) تفسير ابن عطية (٣/١٤٢).

لا يقتضي وقوعها. كقولك. «إن كانت الخمسة زوجا، كانت منقسمة بمتساويين» والسر في مثلها تكثير الدلائل وتقويتها، لتزداد قوة اليقين، وطمأنينة القلب، وسكون الصدر^(١).

فائدة: ليس أكثر أهل الكتاب زد دعوة الرسول ﷺ، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعاً واختياراً، فإن الرسول ﷺ بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب^(٢).

وهذا فيه تثبيت للأمة، وإعلام لهم أن صفة نبهم ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَأْتِيهِم بِالْحَقِّ وَأَيُّدِي اللَّهِ مَشْدُودَةٌ عَلَيْهِمْ يُبَدِّلُونَهُمْ فِي دِينِهِمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ثم مع هذا العلم يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم، يُلبسون ذلك ويُحرفونه ويُبدِّلُونَهُ، ولا يُؤْمِنُونَ بِهِ مع قيام الحجة عليهم^(٣).

ولم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياستهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسماً لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم أنهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويحاً لملكهم، وتمويهاً لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البيئية الظاهرة^(٤).

(١) محاسن التأويل (٦/٦٢).

(٢) تفسير السعدي ص (٣٧٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٦).

(٤) تفسير السعدي ص (٣٧٣) بتصرف.

فصل

ومما يُضاد اليقين: الظنُّ السيء

قال الله تعالى: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ يَا اللَّهُ ظَنُّكَ السَّوْءُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفردته بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت لرسوله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حربه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يدلل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمنحل معها التوحيد والحق اضمحلالات لا يقوم بعده أبدا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يدل حربه وجنده، وأن تكون النصره المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن

حكمة وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فوتها، وأن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لإفضائها إلى ما يجب، وإن كانت مكروهة له فما قدرها سُدى، ولا أنشأها عبثاً، ولا خلقها باطلاً، ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧] وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماؤه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظن به ظن السوء..... - إلى أن قال - فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتُب إلى الله تعالى، وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنيع كل شر المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصالحة ورحمة وعدل، وأسمائه كلها حسنى. ا.هـ. (١).

- وقال الله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۗ ﴾ (١٣) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿ [الفتح: ١٢-١٣]،

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ أي: لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص، بل تخلف نفاق، ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ أي: اعتقدتم أنهم يقتلون

وتستأصل شأفتهم وتستباد خضراؤهم، ولا يرجع منهم مخبر^(١).

وقيل: إن تخلفكم ليس لما زعمتم، بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملونه من الأعمال التي من جملتها تخلفكم، وقد علم أن تخلفكم لم يكن لذلك، بل للشك والنفاق وما خطر لكم من الظنون الفاسدة الناشئة عن عدم الثقة بالله^(٢).

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: وسبب ذلك الظن أمران:

أحدهما: أنهم كانوا ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هلكى، لا خير فيهم، والثاني: ضعف إيمانهم ويقينهم بوعد الله، ونصر دينه، وإعلاء كلمته، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فإنه كافر مستحق للعقاب، ﴿فَأِنَّا آتَيْنَاكَ الْكِفْرَ سَعِيرًا﴾^(٣).

- وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْقَوْمِ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَفِيئُونَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ وَقُلْ إِنَّا لَأَمْرُكُلَّةٌ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل، قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكوا في أمر الله، وتكذبا لنبيه ﷺ ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه ومُعَلٍ عليه أهل الكفر به^(٤).

(١) تفسير ابن كثير (٧/٣٣٧).

(٢) فتح القدير (٥/٥٧).

(٣) تفسير السعدي ص (٧٩٢).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٧/٣٢٠).

قال ابن كثير - رحمه الله رحمة واسعة - : وهكذا هؤلاء، اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة وأن الإسلام قد باد وأهله، هذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة^(١).

- قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾

[الحجرات: ١٢].

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(٢).

- واعلم أن الظن قد يأتي بمعان أخرى مثل اليقين والشك والحسبان وغيرها، وكلُّ بحسب، والله أعلم^(٣).

○ ← ○ ← ○

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٤٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٠٥)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٥).

(٣) انظر: الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص (٤٢٥).

باب

الشرط الثالث

وهو القبول: وضده الرد.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَحِجْبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَجْرٌ كَذَابٌ ۝٤ أَجْعَلِ الْأَلَمَةَ لِنَاهَا يَجِدْنَا إِن هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَأَنْطَلِقُ لِمَالِكٍ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصِيرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْأَخْرَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ۝٧ ﴾ [ص: ٤-٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝٣٤ إِنْتُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نُرٰكُوا إِلَهَيْنَا لِشَاعِرٍ مُّجْتَوِمٍ ۝٣٦ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣٧ ﴾ [الصافات: ٣٤-٣٧]، وقال: ﴿ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدْيٍ مَّمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ عَابَةَ كُفْرًا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كٰفِرُونَ ۝٢٤ ﴾ [الزخرف: ٢٤]، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ۝١٧ ﴾ [الأحقاف: ١٧]. وقال: ﴿ كَلَّا إِنَّمَا لَطَفْنَا بِكَ نَزَاعَةَ لِلشَّوَىٰ ۝١٥ نَزَاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ قَوْلًا ۝١٧ ﴾ [المعارج: ١٥-١٧].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: فلا بد له من القبول لما دلت عليه، وذلك ينافي الرد، لأن كثيرا ممن يقولها ويعرف معناها، لا يقبلها، كحال مشركي قريش، والعرب، وأمثالهم، فإنهم عرفوا ما دلت عليه، لكن لم يقبلوا، فصارت دماؤهم، وأموالهم، حلالا لأهل التوحيد. اهـ^(١).

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء،

(١) الدرر السنية (٢/٢٥٣).

فأنبئت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قال شيخنا^(٢): الناس في الهدى الذي بعث الله تعالى به رسوله ﷺ أربعة أقسام:

القسم الأول: قبلوه ظاهراً وباطناً، وهم نوعان:

أحدهما: أهل الفقه فيه والفهم والتعليم وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه وفهموا مراده وبلغوه إلى الأمة واستنبطوا أسراره وكنوزه، فهؤلاء كمثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبئت الكلاً والعشب الكثير فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم وأخذوا من ذلك الكلاً الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم.

النوع الثاني: حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من أهل الاستنباط والتفقه في مراد الشارع، فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه، والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه، وهذا النوع الثاني بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس، فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (٧٩)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٨٢).

(٢) يقصد: شيخ الإسلام أبا العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة رَحِمَهُ اللهُ، المتوفى عام (٧٢٨).

القسم الثاني: من رده ظاهراً وباطناً وكفر به ولم يرفع به رأساً وهؤلاء أيضاً نوعان:

أحدهما: عرفه وتيقن صحته وأنه حق، ولكن حمله الحسد والكبر وحب الرياسة والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين.

النوع الثاني: أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا وكبرائنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه ولنا أسوة بهم ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقاً لكانوا هم أهله وأولى بقبوله، وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم راعيهم.

القسم الثالث: الذين قبلوا ما جاء به الرسول ﷺ وآمنوا به ظاهراً وجحدوه وكفروا به باطناً وهم المنافقون الذين ضرب لهم هذان المثالان بمستوقد النار وبالصيب وهم أيضاً نوعان:

أحدهما: من أبصر ثم عمي، وعلم ثم جهل، وأقر ثم أنكر، وآمن ثم كفر، فهؤلاء رءوس أهل النفاق وساداتهم وأئمتهم، ومثلهم مثل من استوقد ناراً ثم حصل بعدها على الظلمة.

النوع الثاني: ضعفاء البصائر الذين أعشى بصائرهم ضوء البرق فكاد أن يخطفها لضعفها وقوته، وأصم آذانهم صوت الرعد فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ولا يقربون من سماع القرآن والإيمان؛ بل يهربون منه ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد، فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنيه، وهذه حال كثير من خفافيش البصائر في كثير من نصوص الوحي إذا وردت عليه مخالفة لما تلقاه عن أسلافه وذوي مذهبه، ومن يحسن به الظن ورآها مخالفة

لما عنده عنهم هرب من النصوص وكره من يُسمِعه إياها، ولو أمكنه لسد أذنيه عند سماعها ويقول: دعنا من هذه ولو قَدِر لعاقب من يتلوها ويحفظها وينشرها ويعلمها، فإذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده مشى فيها وانطلق فإذا جاءت بخلاف ما عنده أظلمت عليه فقام حائرا لا يدري أين يذهب، ثم يعزم له التقليد وحسن الظن برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها، ويقول مسكين الحال: هم أخبر بها مني وأعرف، فيالله العجب! أوليس أهلها والذابون عنها والمتصرون لها والمعظمون لها والمخالفون لأجلها آراء الرجال، المقدمون لها على ما خالفها، أعرف بها أيضا منك ومن اتبعته فلم كان من خالفها وعزها عن اليقين وزعم أن الهدى والعلم لا يستفاد منها وأنها أدلة لفظية لا تفيد شيئا من اليقين ولا يجوز أن يحتج بها على مسألة واحدة من مسائل التوحيد والصفات ويسميها الظواهر النقلية، ويسمي ما خالفها القواطع العقلية، فلم كان هؤلاء أحق بها وأهلها وكان أنصارها والذابون عنها والحافظون لها هم أعداؤها ومحاربوها؟!

ولكن هذه سُنَّة الله في أهل الباطل أنهم يعادون الحق وأهله وينسبونهم إلى معاداته ومحاربتة، والمقصود أن هؤلاء المنافقين صنفان: أئمة وسادة يدعون إلى النار وقد مردوا على النفاق. وأتباع لهم بمنزلة الأنعام والبهائم، فأولئك زنادقة مستبصرون، وهؤلاء زنادقة مقلدون.

القسم الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّكَ تَعَلَّمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ...﴾ [الفتح: ٢٥] الآية، فهؤلاء كانوا يكتمون إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره.

فالأقسام الثلاثة الأول ظاهرة، وقد اشتمل عليها أول سورة البقرة، والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود. ا.هـ. (١).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أيضًا -، عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين، واليهود، والنصارى، كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل، على أجر معلوم، فعملوا له إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملا، فأبوا، وتركوا، واستأجر أجيرين بعدهم، فقال لهما: أكملوا بقية يومكما هذا ولكما الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال لهما: أكملوا بقية عملكما ما بقي من النهار شيء يسير، فأبيا، واستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم، ومثل ما قبلوا من هذا النور» (٢).

○ ← ○ ← ○

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ص (٢٦-٣١)، باختصار.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة (٢٢٧١).

فصل

الرضا من القبول

عَرَّفَ بعضهم القبول فقال: هو بفتح القاف: الرضا بالشيء وميل النفس إليه^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾

[التوبة: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

[التوبة: ٦٢].

ومن هذا ما رواه العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عم النبي ﷺ - أنه

سمع رسول الله ﷺ قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً،

وبمحمد رسولا»^(٢).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: والرضا بربوبية الله تتضمن الرضا بعبادته

وحده لا شريك له، وبالرضا بتدبيره للعبد واختياره له. والرضا بالإسلام ديناً

يتضمن اختياره على سائر الأديان. والرضا بمحمد رسولا يتضمن الرضا بجميع

ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم والانسراح^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد، من

رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وجبت له الجنة»، فعجب لها

(١) النهاية لابن الأثير (٨/٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٤).

(٣) جامع العلوم والحكم، ص ١١٨.

أبو سعيد، فقال: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ففعل... الحديث^(١).

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا، وبالإسلام ديننا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»^(٢).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٨٨٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٣٨٦).

فصل

لا يدلل القبول وحده على الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] الآية، وقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ١-٣].

فهؤلاء المنافقون رضوا بالله ربا وبمحمد نبيا ورسولا وبالإسلام ديناً، في الظاهر، وأما في الباطن فهم من أعدى أعداء الدين، ولا يجبون أن تقوم له راية، وقد ظنوا بذلك أنهم يُحَادِثُونَ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَنَسُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ، لذلك قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، فتوعدهم بأشد الوعيد، لم يتوعد غيرهم مثله، قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، حتى إن منازل الكافرين والمشركين في جهنم أعلى من منازل هؤلاء، مع قبولهم ورضاهم - ظاهراً - بالإسلام.. فيا عجباً لهؤلاء.. يارب ثبتنا على الإيمان واصررنا عن خطوات الشيطان.

باب

الشرط الرابع

وهو: الانقياد، وضده: الإباء والاستكبار.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣]، وقال: ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].. وغيرها.

قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا، ثم جعل يتلو ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيزيغ فيه لعله^(١).

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/٥٨-٥٩) رقم (٩٧).

النذير العريان، فالتجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأتا أخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله، قال: «جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مآدبة وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المآدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المآدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ»^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٣)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٨٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٤٨٣)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٨٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: من اعتقد أنه يجوز له أن يخرج عن طاعة النبي ﷺ وتصديقه في شيء من أموره الباطنة والظاهرة فإنه يجب استتابته فإن تاب وإلا قتل كائنا من كان^(١).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: معرفة دين الإسلام: وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله^(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: وليس الإسلام بمجرد الدعوى والتلفظ بالقول، وإنما معناه: الانقياد لله بالتوحيد والخضوع، والإذعان له بالربوبية والإلهية، دون كل ما سواه^(٣).



(١) المستدرک علی مجموع الفتاوی (١/٢١٥).

(٢) رسالة ثلاثة الأصول، مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/١٣٧) باختصار.

(٣) الدرر السنية (٢/٢٦٤).

فصل

من فضل الانقياد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كُلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقتراها القوم، دلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ «قال: نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ «قال: نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ «قال: نعم» ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] «قال: نعم»^(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٢٥).

وفي رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأِنْ تَبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِنَّ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ «قال: قد فعلت» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، «قال: قد فعلت» ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، «قال: قد فعلت»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فهذا إقرار منهم بركني الإيمان الذي لا يقوم إلا بهما وهما: السمع المتضمن للقبول، لا مجرد سمع الإدراك المشترك بين المؤمنين والكفار، بل سمع الفهم والقبول. والثاني: الطاعة المتضمنة لكمال الانقياد وامتثال الأمر وهذا عكس قول الأمة الغضبية سمعنا وعصينا. فتضمنت هذه الكلمات كمال إيمانهم وكمال قبولهم وكمال انقيادهم ثم قالوا: ﴿عُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ لما علموا أنهم لم يوفوا مقام الإيمان حقه مع الطاعة والانقياد الذي يقتضيه منهم وأنهم لا بد أن تميل بهم غلبات الطباع ودواعي البشرية إلى بعض التقصير في واجبات الإيمان وأنه لا يلم شعث ذلك إلا مغفرة الله تعالى لهم سألوه غفرانه الذي هو غاية سعادتهم ونهاية كمالهم؛ فإن غاية كل مؤمن المغفرة من الله تعالى فقالوا: ﴿عُفْرَانُكَ رَبَّنَا﴾ ثم اعترفوا أن مصيرهم ومردهم إلى مولاهم الحق لا بد لهم من الرجوع إليه فقالوا: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. فتضمنت هذه الكلمات إيمانهم به ودخولهم تحت طاعته وعبوديته واعترافهم بربوبيته واضطرارهم إلى مغفرته واعترافهم بالتقصير في حقه وإقرارهم

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٢٦).

برجوعهم إليه. ثم قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فنفى بذلك ما توهموه من أنه يعذبهم بالخطرات التي لا يملكون دفعها وأنها داخلة تحت تكليفه فأخبرهم أنه لا يكلفهم إلا وسعهم فهذا هو البيان الذي قال فيه ابن عباس وغيره فنسخها الله عنهم بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقد تضمن ذلك أن جميع ما كلفهم به أمرا ونهيا فهم مطيقون له قادرون عليه وأنه لم يكلفهم ما لا يطيقون وفي ذلك رد صريح على من زعم خلاف ذلك. والله تعالى أمرهم بعبادته وضمن أرزاقهم فكلفهم من الأعمال ما يسعونه وأعطاهم من الرزق ما يسعون فتكليفهم يسعونه وأرزاقهم تسعونهم فهم في الوسع في رزقه وأمره: وسعوا أمره ووسعهم رزقه ففرق بين ما يسع العبد وما يسعه العبد وهذا هو اللائق برحمته وبره وإحسانه وحكمته وغناه؛ لا قول من يقول إنه كلفهم ما لا قدرة لهم عليه ألبة ولا يطيقونه ثم يعذبهم على ما لا يعملونه. وتأمل قوله عز وجل: ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كيف تجرد تحتهم أنهم في سعة ومنحة من تكليفه، لا في ضيق وحرَج ومشقة، فإن الوسع يقتضي ذلك فاقتضت الآية أن ما كلفهم به مقدور لهم من غير عسر لهم ولا ضيق ولا حرج، بخلاف ما يقدر عليه الشخص فإنه قد يكون مقدورا له ولكن فيه ضيق وحرَج عليه وأما وسعه الذي هو منه في سعة فهو دون مدى الطاقة والمجهود؛ بل لنفسه فيه مجال ومتسع وذلك مناف للضيق والحرَج. اهـ. (١).

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾
وإِلَى اللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿ [لقمان: ٢٢].

(١) مجموع الفتاوى (١٤/١٣٦-١٣٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى مخبرا عمَّن أسلم وجهه لله، أي: أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله، باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر، ﴿فَقَدِ اسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي: فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ١.١. هـ (١).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَلِهِمْ﴾ (٣٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٢-٣٣].

○ ← ○ ← ○

فصل

صور من انقياد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعروة بن مسعود: امصص ببظر اللات،
أنحن نَفِر عنه - أي: عن النبي ﷺ وندعه؟! (١).

وقال لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أيما الرجل إنه لرسول الله ﷺ وليس
يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بعرزاه، فوالله إنه على الحق (٢).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لشيبة بن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لقد هممت أن لا أدع
فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين، قال شيبة: ما أنت بفاعل، قال:
لم؟ قال: لم يفعله صاحبك - أي: النبي ﷺ وأبو بكر-، قال عمر: هما المرءان
يُقْتدى بهما (٣).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: اتخذ النبي ﷺ خاتما من ذهب، فاتخذ
الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: «إني اتخذت خاتما من ذهب» فنبذه،
وقال: «إني لن ألبسه أبدا»، فنبذ الناس خواتيمهم (٤). - وفي رواية عند البخاري
- ثم اتخذ خاتما من فضة، فاتخذ الناس خواتيم الفضة (٥).

(١) صحيح البخاري كتاب الشروط (٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٢) الحديث السابق.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٧٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٩٨)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة
(٢٠٩١).

(٥) صحيح البخاري، كتاب اللباس (٥٨٦٦).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريحٌ شديدةٌ وقرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم»، فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تدعهم علي»، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم - إلى أن قال - فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت قُررتُ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: «قم يا نومان»^(١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل، فترعه فطرحه، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمره من نار فيجعلها في يده»، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا أخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ^(٢).

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، أنه رأى رجلا يخذف، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف وقال: «إنه لا يصاد به صيد ولا ينكى به عدو، ولكنها قد تكسر السن، وتفقأ العين» ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف،

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٨٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (٢٠٩٠).

وأنت تخذف لا أكلمك كذا وكذا^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها»^(٢)، قال سالم بن عبد الله: فقال بلال بن عبد الله: والله لمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله: فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط وقال: «أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لمنعهن»^(٣).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد (٥٣٧٩)، صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح (١٩٥٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان (٨٧٣)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٤٤٢) وهذا لفظه.

(٣) هذه الزيادة تفرد بها مسلم.

فصل

انقياد الجماد للنبي ﷺ، فما بال الإنسان!

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي علي ياذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش، الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي علي ياذن الله» فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمَنْصَفِ مما بينهما، لَأَمَ بينهما - يعني جمعها - فقال: «التما علي ياذن الله» فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا، وإذا الشجرتان قد افترتتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق^(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه، فإن لي غلاما نجارا قال: «إن شئت»، قال: فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها، حتى كادت تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها، فضمها إليه، فجعلت تن أنين الصبي الذي يسكت، حتى استقرت، قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر»^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٣٠١٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع (٢٠٩٥).

فصل

وَضِدُّ الْإِنْقِيَادِ: الْإِبَاءُ وَالْإِسْتِكْبَارُ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نُرِي رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]، وقال: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٦-٧٧]، وقال: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]، وغيرها.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته،

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠).

والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره. ا.هـ^(١).

○←○←○

باب

الشرط الخامس

وهو: الصدق، وضده الكذب.

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ؕ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، وقال: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

والصدق: هو مطابقة الكلام بحسب اعتقاد المتكلم^(١).

والمقصود به هنا: أن يقول العبد لا إله إلا الله يواطئ قلبه لسانه، بخلاف المنافق الذي يقولها بلسانه من غير اعتقاد القلب، ﴿يَقُولُونَ بِالسِّتْرِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، ثم يُصدق عمله كل هذا ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

(١) المعجم الوسيط ص (٥١١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً، قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذا يتكلموا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً^(١).

وعنه رضي الله عنه قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله، ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله»، قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله»، قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، الله أرسلك؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا، وليلتنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، قال: «صدق»، قال: ثم ولى، قال: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليهن، ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة»^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (١٢٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٢)، وهذا لفظ البخاري.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٢).

وعن طلحة بن عبيد الله، أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ نائرا الرأس، فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: «الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا»، فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: «شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا»، فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فقال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك، لا أتطوع شيئا، ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق»^(١).

والصدق من صفات المؤمنين، فيُصدِّقون ما في قلوبهم بأقوالهم وأعمالهم؛ أما المنافقون فيُظهرون الإيمان والصدق ويُبتغون الكفر والتكذيب، ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٢) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿[الأحزاب: ٢٣-٢٤]، وقد توعدَّ اللهُ تعالى المنافقين بأشد وعيد وجعلهم تحت الكافرين في جهنم، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].



(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم (١٨٩١)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١١).

فصل

أهل الصدق هم الصديقون

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قال ابن قتيبة: الصِّدِّيق: الكثير الصدق^(١)، وقال البغوي: المبالغ في الصدق^(٢).
واعلم - رحمك الله - أن الصديقين أرفع الناس درجة بعد الأنبياء^(٣).

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٤).

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: الصديقون هم الذين كَمُلَ تصديقهم بما جاءت به الرسل فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولاً وعملاً وحالاً ودعوة إلى الله. ا.هـ^(٥). نسأل الله أن نكون منهم.. آمين.

(١) نقلا عن ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٠).

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٢٤٧).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٩٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق (٣٢٥٦)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٣١).

(٥) تفسير السعدي ص (١٨٥).

قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] أي: بليغة الصدق في نفسها^(١)، فهي كثيرة الصدق^(٢)، وقد آمنت بابنها المسيح وصدقت به^(٣)، وبكلمات الله وكتبه، ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا

وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

○+○+○

(١) تفسير ابن جزي (١/٢٤٠).

(٢) تفسير البغوي (٣/٨٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/١٥٨).

فصل

بالصدق تنال الخير وإن لم تطهره

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقا، أعطيتها، ولو لم تُصبه»^(١).

عن شداد بن الهاد رضي الله عنه، أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ بسببا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟، قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك»، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأدخل الجنة فقال: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدقته»، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٩٠٨).

ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك»^(١).

عن سهل بن حنيف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصَدَقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٢).

○+○+○

(١) صحيح: سنن النسائي (٤/٦٠) رقم (١٩٥٣)، المستدرک للحاکم (٦٥٢٧)، المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (٣/٥٤٥)، شرح معاني الآثار للطحاوي (١/٥٠٥)، المعجم الكبير للطبراني (٧/٢٧١)، السنن الكبرى للبيهقي (٤/٢٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٩٠٩).

فصل

تمييز الصادق من الكاذب

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [١٠] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠-١١]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُتَمِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ [٣٦] ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦-٣٧].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: إن الله سبحانه من حكمته ولطفه ورحمته، لم يترك مدعي الإسلام والإيمان بلا محنة يختبر بها الصدق من الكذب، ويميز بها بين المرتاب والمستيقن، وله في ذلك حكمة بالغة، ومشية نافذة، وحجة دامغة؛ وقد تعددت سنته سبحانه وأيامه في خلقه بذلك؛ قرناً فقرناً، وجيلاً فجيلاً، حتى ميز الله بين الصادق في إسلامه وإيمانه، وبين المرتاب في ذلك وضعيف اليقين أو الكاذب أصلاً. ا.هـ. (١)

(١) الدرر السنية (٨/ ٢٧٧) باختصار.

فصل

وضد الصدق؛ الكذب

ويعمل به الكافرون والمنافقون؛ قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ، وَلَمَّا يَا إِلَهُكُمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَحَسْبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ آلَاءِنْتُمْ هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢]، وقال: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٨]، وقال: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، وقال: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٤-١٦].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ تَوْحِيدًا وَإِخْلَاصًا، لِأَنَّ التَّوْحِيدَ جَمَاعُ الدِّينِ وَاللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِذَا شَفَعَ مُحَمَّدٌ ﷺ حَدَّ لَهُ رَبُّهُ حَدًّا فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِقُلُوبِهِمْ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيْمَانِ. ا.هـ. (٢).

فجعل أعظم الأسباب التي ينال بها الشفاعة تجريد التوحيد، عكس ما اعتقد المشركون، أن الشفاعة تُنال بالتخاذم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي ﷺ زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع فيه^(٣).

واعلم - حفظك الله - أن الإخلاص أحد شرطي قبول العمل، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ زَرْحًا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]؛

قال إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض: «سمعت الفضيل رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَبْتَلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، قَالَ:

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (٩٩).

(٢) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، ص (٩٦).

(٣) الدرر السنية (١/١٩٦-١٩٧) من كلام أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر رحمهم الله جميعًا.

أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة^(١).

وعلى هذا يكون شرطان قبول العمل: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للنبي

ﷺ.

○+○+○

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/٩٥).

فصل

وضد الإخلاص: الشرك

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقال: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاً وَهُوَ خَلْقُكَ»^(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الشرك أظلم الظلم، لأن المشرك وضع العبادة في غير موضعها. ١. هـ^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٤٧٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٨٦).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم (٣٠٥/٢).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - : وأعظم ما أمر الله به التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة؛ وأعظم ما نهى عنه الشرك: وهو دعوة غيره معه^(١).
عن أبي بكره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله».. الحديث^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»^(٣).

وعن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُسْمِعْ يُسْمِعْ الله به، ومن يُرَائِي يُرَائِي الله به»^(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(٥).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: المسلم: من وَحَّدَ الله بأفعاله سبحانه وأفعاله بنفسه؛ والمشرك: الذي يوحد الله بأفعاله سبحانه، ويشرك بأفعاله بنفسه. ا.هـ^(٦).

(١) رسالة ثلاثة الأصول، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/١٣٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات (٢٦٥٤)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٨٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقائق (٦٤٩٩)، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٧).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٩٩).

(٦) الدرر السنية (١/٦٢).

والشرك نوعان:

١- أكبر. ٢- وأصغر.

أما الأكبر، فهو صرف العبادة لغير الله، وهذا الذي لا يغفره الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة، كما قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فمن مات على الشرك فهو خالد مخلد في النار، وهذا النوع من الشرك وسائله كثيرة وأنواعه متعددة وسبله متنوعة، مثل السجود لغير الله وطلب قضاء الحوائج من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، والنذر لغير الله، وطلب المدد والعون من الأموات ودعائهم، واعتقاد دفع الضر وجلب النفع في غير الله.. وغير ذلك من العبادات التي لا تكون إلا لله، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك معه غيره.

أما الأصغر: فهو أكبر الكبائر، وصاحبه تحت مشيئة الله يوم القيامة، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، وهو كيسيير الرياء والسمعة، والحلف بغير الله، ونسبة الفضل لغير الله.. وغير ذلك.

فصل

قول الله تعالى: ﴿لَا يَغْرُنَّكَ تَلَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾ (١١٦) مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ

جَهَنَّمُ وَيُنْسُ الْهَادُ ﴿[آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ

لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٢) وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونًا وَسُرْرًا عَلَيْهَا يُتَكَوَتُونَ

﴿٣١﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿

[الزخرف: ٣٣-٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران:

١٨٥]، وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ

﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نَقْبَلُ مِنْهُمْ مَتَّعٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٦)

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿[المائدة: ٣٦-

٣٧]، و﴿يَنْقُورِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل

المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع

دينه بعرض من الدنيا»^(١).

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم

القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا، ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

[الكهف: ١٠٥]»^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١١٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٧٢٩)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها»^(١).

وقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»^(٢).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: «هن لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة»^(٣).

وعن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال له: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة»^(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٥).



(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٠٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٩١٣)، صحيح مسلم، كتاب الطلاق (١٤٧٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة (٥٦٣٢)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (٢٠٦٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الزهد (٦٤٤٣)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٩٤).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٥٦).

باب الشرط السابع

وهو: المحبة، وضده البغض والكره.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ رِضْوَانِهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»^(١)، وفي رواية: «ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه»^(٢).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله»^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان (١٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٤٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٤٣) مكرر.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود (٦٧٨٠).

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ليأتين على أحدكم زمان، لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله»^(٢).

وعن محمد بن سيرين، قال: قلت لعبيدة - ابن عمرو السلماني: مخضرم -: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس، فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها^(٣).

وعن عبد الله بن هشام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ولها أصولان:

أحدهما: وهو الذي يقال له محبة العامة لأجل إحسانه إلى عباده وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها أحد فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان (١٥)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٤٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب (٣٥٨٩)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٣٦٤)، وهذا لفظ البخاري.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء (١٧٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور (٦٦٣٢).

وُبُغِضَ من أساء إليها، والله سبحانه هو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة؛ إذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب.

الأصل الثاني: هو محبته لما هو له أهل وهذا حب من عرف من الله ما يستحق أن يجب لأجله وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله بها مما دلت عليه أساؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتى جميع مفعولاته إذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ولهذا استحق أن يكون محموداً على كل حال ويستحق أن يُحمد على السراء والضراء وهذا أعلى وأكمل وهذا حب الخاصة. ١. هـ. (١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه ومن حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة. وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فإنه لو أُعِين على حصول ما يحبه ويطلبه ويشتهي ويريده ولم يحصل له عبادته لله بحيث يكون هو غاية مراده ونهاية مقصوده وهو المحبوب له بالقصد الأول وكل ما سواه إنما يحبه لأجله لا يجب شيئاً لذاته إلا الله فمتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة «لا إله إلا الله» ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة وكان فيه من النقص والعيب بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك (٢).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٨٤-٨٥) باختصار.

(٢) المرجع السابق (١٠/١٩٤).

وقال: فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته - بل استكبر عن ذلك - فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبداً لذلك المراد المحبوب: إما المال وإما الجاه وإما الصور وإما ما يتخذه إلهاً من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والأوثان وقبور الأنبياء والصالحين أو من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أرباباً أو غير ذلك مما عبُد من دون الله. ١. هـ. (١).

وقال: ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به ولا يتوكل إلا عليه ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ولا يوالي إلا من والاه الله ولا يعادي إلا من عاداه الله ولا يحب إلا الله ولا يبغض شيئاً إلا الله ولا يعطي إلا الله ولا يمنع إلا الله (٢).

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: من لم يجب التوحيد لم يكن موحدًا، لأنه هو الدين الذي رضيَه اللهُ تعالى لعباده، كما قال: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلو رضي بما رضي به الله، وعمل به لأحبه، ولا بد من المحبة، لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد (٣).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

ليس العبادة غير توحيد المـ
والحب نفس وفاقه فيما يجب
حبة مع خضوع القلب والأركان
وبفض ما لا يرتضى بجنان

(١) المرجع السابق (١٠/١٩٦-١٩٧).

(٢) المرجع السابق (١٠/١٩٨).

(٣) الدرر السنية (٢/٢٠٧-٢٠٨).

ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان^(١)

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح، فمن أحب شيئاً وخضع له، فقد تعبد قلبه له، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة، ولا الخضوع بلا محبة عبادة؛ فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر، ولا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام إلا الله سبحانه^(٢).

○◀○▶○

(١) الكافية الشاقية لابن القيم، ص (٢٢١).

(٢) الدرر السنية (٢/٢٩١) باختصار.

فصل

محبة أهل بيت النبي ﷺ من محبة الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي من قرابتي»^(١).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته»^(٢).

ارقبوا محمدا: أي: احفظوه.

وعن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»^(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، أنه قال لحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»^(٤).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: «هما ریحانتاي من الدنيا»^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٣٧١٢)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٥٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٣٧١٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٣٧١٤)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٤٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس (٥٨٨٤)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٢١).

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٧٥٣).

وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتَهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»^(١).

وعن كعب بن عجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نَسْلَمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نَصَلِّيُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ»^(٢).

وعن أبي حميد الساعدي الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَصَلِّيُ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ»^(٣).

○+○+○

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٦٢)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٣٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات (٦٣٥٧)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٤٠٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء (٣٣٦٩).

فصل

محبة أصحاب النبي ﷺ من محبة الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمداً
على الجهاد ما حيناً أبداً
فأجابهم النبي ﷺ فقال:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار، والمهاجرة»^(١)

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق، ونقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار»^(٢)

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٢٩٦١)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٨٠٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار (٣٧٩٧)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٨٠٤).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: « لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهباً ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه»^(١).

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: « الأنصار لا يجهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحب الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٢).

○+○+○

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧٣)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٥٤٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار (٣٧٨١)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٧٥).

فصل

محبة المؤمنين من محبة الله تعالى ورسوله

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ [المائدة: ٥٥-٥٦]، وقال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿ [الفتح: ٢٩].

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلمهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(١).

وحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»، وفيه «وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله»^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الآذان (٦٦٠)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة (١٠٣١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٥٤).

فصل

محبة الله تعالى لعباده المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ يَكْتُبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤]، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨]، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ: كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلِئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١) وعن أنس بن مالك، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ، قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبَتْ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبَتْ مِنْهُ بَاعًا - أَوْ بُوْعًا - وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرُولَةً»^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٠٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٥٣٦)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٥) مكرر.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»^(١).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق (٣٢٠٩)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٦٣٧).

فصل

وضد المحبة: البغض والكراهة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۗ﴾ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿ [محمد: ٨-٩]، وقال: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۗ﴾ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿ [الأنفال: ٧-٨]، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارُهُمْ﴾ (٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ لَهُمْ ﴿ (٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿ [محمد: ٢٦-٢٨]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ [التوبة: ٣٢-٣٣]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُّ السَّيِّئَةُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحَسَنُ لَا جُرْمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

باب

الشرط الثامن

وهو: الكفر بما يُعبد من دون الله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَّحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]، وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ، قال: «بُني الإسلام على خمسٍ، على أن يُعبد الله، ويُكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(١).

والطاغوت: هو كل ما يُعبد من دون الله تعالى.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الطَّاغُوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع^(٢).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما صفة الكفر بالطَّاغُوت، فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتركها وتبغضها وتكفر أهلها

(١) أخرجه بلفظه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١٦) مكرر.

(٢) إعلام الموقعين (١/٤٠).

وتعاديتهم^(١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنا بالله إلا بالكفر بالطاغوت^(٢).

وعن أبي مالك الأشجعي - سعد بن طارق بن أشيم - عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله»^(٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -: فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه^(٤).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله تعالى -: وأما قوله في الحديث الصحيح: «وكفر بما يعبد من دون الله»، فهذا شرط عظيم، لا يصح قول لا إله إلا الله إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال لا إله إلا الله معصوم الدم والمال؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه، من ترك الشرك والبراءة منه، ومن فعله فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله، وتبرأ منه، وعادى مَنْ فعل ذلك، صار مسلما، معصوم الدم والمال؛ وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ

(١) رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/٢٥٢).

(٢) المصدر السابق (٦/٢٥٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٣).

(٤) كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مسائل باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٥٦﴾. ١. هـ. (١).

فلا يعصم دم العبد وماله، حتى يأتي بهذين الأمرين:

الأول: قوله: لا إله إلا الله، والمراد معناها لا مجرد لفظها، ومعناها هو

توحيد الله بجميع أنواع العبادة.

الأمر الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، والمراد بذلك تكفير المشركين،

والبراءة منهم، وما يعبدون مع الله. فمن لم يكفر المشركين عن عبد الصالحين

كعباد القبور، وعدل عن توحيد الله إلى الشرك، وبدل سنة رسوله ﷺ بالبدع،

فهو كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم، ويبغضهم، ويجب الإسلام والمسلمين؛

فإن الذي لا يكفر المشركين، غير مصدق بالقرآن، فإن القرآن قد كفر المشركين،

وأمر بتكفيرهم، وعداوتهم وقتالهم (٢).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - : والطواغيت

كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبده وهو راضٍ، ومن دعا الناس

إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله (٣).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو

من دون الله ندا دخل النار» (٤).

○ ← ○ ← ○

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٤٣).

(٢) الدرر السنية (٩/ ٢٩١).

(٣) رسالة ثلاثة الأصول ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٤١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٤٩٧).

فصل

البراءة من الكفر وأهله

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ [المتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]، وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُرُوقًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال: ﴿ لَا يَنْهَكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ بَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ إِخْرَاجَكُمْ أَنْ تَوْلُوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المتحنة: ٨-٩]، وقال: ﴿ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: ٣].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -: إن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام، ولو وحَّد الله وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢]. ا.هـ (١).

(١) ستة مواضع من السيرة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢٤٠).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا، بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان، وأي مكان. ١.١. هـ^(١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ في نواقض الإسلام: من لم يُكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر^(٢).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: فلما أُنذر النبي ﷺ الناس، استجاب له القليل، وأما الأكثر فلم يتبعوا ولم يُنكروا، حتى بدأهم بالتنفير عن دينهم وبيان نقائصه وعيب آلهتهم؛ فاشتدت عداوتهم له ولن تبعه، وعذبوهم عذاباً شديداً، وأرادوا أن يفتنواهم عن دينهم.

فمن فهم هذا، عرف أن الإسلام لا يستقيم إلا بالعداوة لمن تركه وعيب دينه وإلا لو كان لأولئك رخصة لفعلوا^(٣).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحْمَةُ اللَّهِ ومن المعلوم: أن الذين أسلموا، وآمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به، لولا أنهم تبرؤوا من الشرك وأهله، وبادروا المشركين بسب دينهم، وعيب آلهتهم، لما تصدوا لهم بأنواع الأذى، وذلك لأنهم أعلم الأمة بالحنيفية، وأعلم بالتوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ [المتحنة: ٤]. ١.١. هـ^(٤).

(١) الدرر السنية (١٠/١٢٨)

(٢) نواقض الإسلام العشرة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/٢٥٨).

(٣) مختصر سيرة الرسول للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ص (٣٤).

(٤) الدرر السنية (٨/٢٥٣).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات، فلا بد من تكفيرهم أيضا، وهذا هو مقتضى لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص؛ فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكا في عبادته، كما في الحديث الصحيح: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»^(١).

فقوله: «وكفر بما يعبد من دون الله»: تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد، لم يعصم دمه وماله^(٢).

○◀○▶○

(١) سبق ذكره قريبا.

(٢) الدرر السننية (٢/٢٠٥-٢٠٦).

فصل

عداوة المشركين والكفار للمؤمنين والأبرار

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [المتحنة: ١]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال: ﴿ قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٤-٨]، وقال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧]... وغيرها.

عن عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: سألت عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، «فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: ﴿ أَنْقَلْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨]»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧٨).

فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئا، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش». ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» - وعد السابع فلم يحفظ -، قال: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى، في القلب قلب بدر^(١).

وروى الإمام مسلم في صحيحه^(٢) حديث الغلام والراهب والساحر، وقال فيه النبي ﷺ: «فقال - أي: الغلام - للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله، رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخذت وأضرم

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء (٢٤٠)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٩٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٣٠٠٥).

النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فَأَخُوهُ فيها، أو قيل له: اقْتَحِم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق».

وعن خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمر وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليؤمنن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله»^(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهكذا المشرك إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد، وأنه لا يشوبه بالإشراك^(٢).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار (٣٨٥٢).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (٦٧/١).

فصل

مظاهرة المشركين والكفار ومناصرتهم كفر

قال الله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [المجادلة: ٢٢]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لِيَتْهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ [الحشر: ١١]، وقال: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُم وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [١٤] أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [المجادلة: ١٤-١٥].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني

ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فِي نَوَاقِضِ الإِسْلَامِ: الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. ا.هـ.^(٢).

○ ← ○ ← ○

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٣٠٠٧)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٩٤).
 (٢) نواقض الإسلام العشرة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/٢٥٩).

باب جامع

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ:

وذا كله معنى شهادة أنه
فحقق لها لفظا ومعنى فإنها
هي العروة الوثقى فكن متمسكا
فكن واحدا في واحد ولو واحد
ومن لم يقيدتها بكل شروطها
فليس على نهج الشريعة سالكا
فأولها: العلم المنافي لضده
فلو كان ذا علم كثير وجاهلا
وثانيها: وهو القبول وضده
كحال قريش حين لم يقبلوا الهدى
وقد علموا منها المراد وأنها
فقالوا كما قد قاله الله عنهم
فصارت به أموالهم ودمائهم
وثالثها: الإخلاص، فاعلم وضده
كما أمر الله الكريم نبيه
ورابعها: شرط المحبة، فلتكن
وإخلاص أنواع العبادة كلها
ومن كان ذا حب لمولاه إنما
فعاد الذي عادى لدين محمد

إله الورى حقا بغير تردد
لنعم الرجا يوم اللقا للموحد
بها مستقيما في الطريق المحمدي
تعالى ولا تشرك به أو تندد
كما قاله الأعلام من كل مهتد
ولكن على آراء كل ملدد
من الجهل، إن الجهل ليس بمسعد
بمدلوها يوما فبالجهل مرتد
هو الرد فافهم ذلك القيد ترشد
وردوه لما أن عتوا في التمرد
تدل على توحيدته والتفرد
بسورة ص فاعلمن ذاك تهتد
حلالا وأغناما لكل موحد
هو الشرك بالمعبود في كل مقصد
بسورة تنزيل الكتاب الممجد
مجا لما دلت عليه من الهدي
كذا النفي للشرك المفند والدد
يتم بحب الدين دين محمد
ووال الذي والاه من كل مهتد

إلى الله والتقوى وأكمل مرشد
جميع الورى والمال من كل أتلد
بآبائنا والأمهات ففتدي
وأبغض لبغض الله أهل التمرد
كذاك البرا من كل غاو ومعتد
هو الترك للمأمر أو فعل مفسد
وتعمل بالمفروض حتما وتقتدى
ومستسلما لله بالقلب ترشد
ولم يك طوعا بالجوارح ينقد
وإن خال رشدًا ما أتى من تعبد
هو: الشك في الدين القويم المحمدي
ويعلم أن قد جاء يوما بموئد
عن السيد المعصوم أكمل مرشد
إذا لم يكن مستيقنا ذا تجرد
من الكذب الداعي إلى كل مفسد
لها عاملا بالمقتضى فهو مهتد
وعن واجبات الدين لم يتبلد
بقائلها يوما فليس على الهدى^(١)

وأحب رسول الله أكمل من دعا
أحب من الأولاد والنفس بل ومن
وطارفه والوالدين كليهما
وأحب لحب الله من كان مؤمنا
وما الدين إلا الحب والبغض والولا
وخامسها: فالانقياد وضده
فتنقاد حقا بالحقوق جميعها
وتترك ما قد حرم الله طائعا
فمن لم يكن لله بالقلب مسلما
فليس على نهج الشريعة سالكا
وسادسها: وهو اليقين، وضده
ومن شك فليبقى على رفض دينه
بها قلبه مستيقنا جاء ذكره
ولا تنفع المرء الشهادة فاعلمن
وسابعها: الصدق، المنافي لضده
وعارف معناها إذا كان قابلا
وطابق فيها قلبه للسانه
وما لم تقم هذى الشروط جميعها

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله رحمة واسعة -: إن لا
إله إلا الله، لها لفظ ومعنى ولكن الناس فيها ثلاث فرق: فرقة نطقوا بها

(١) الدرر السنية (١/٥٨٢-٥٨٣).

وحققوها، وعلموا أن لها معنى وعملوا به، ولها نواقض فاجتنبوها. وفرقة: نطقوا بها في الظاهر، فزينا ظواهرهم بالقول، واستبطنوا الكفر والشك. وفرقة: نطقوا بها ولم يعملوا بمعناها، وعملوا بنواقضها، فهو لاء ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤].

فالفرقة الأولى هي الناجية، وهم المؤمنون حقا؛ والثانية هم المنافقون؛ والثالثة هم المشركون؛ فلا إله إلا الله: حصن، ولكن نصبوا عليه منجنيق التكذيب، ورموه بحجارة التخريب، فدخل عليهم العدو، فسلبهم المعنى، وتركهم مع الصورة؛ وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(١) سلبوا معنى لا إله إلا الله، فبقي معهم لقلقة باللسان، وقعقة بالحروف، وهو ذكر الحصن لا مع الحصن، فكما أن ذكر النار لا يحرق، وذكر الماء لا يغرق، وذكر الخبز لا يشبع، وذكر السيف لا يقطع، فكذلك ذكر الحصن لا يمنع.

فإن القول قشر، والمعنى لب، والقول صدف، والمعنى در، ماذا يصنع بالقشر مع فقدان اللب؟! وماذا يصنع بالصدف مع فقدان الجوهر؟!

لا إله إلا الله مع معناها، بمنزلة الروح من الجسد، لا ينتفع بالجسد دون الروح، فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة دون معناها^(٢).

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: فهذه الأمور هي تمام التوحيد، لأن؛ لا إله إلا الله قِيِّدَتْ في الأحاديث بقيود ثقال: بالعلم، والإخلاص،

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) مكرر.

(٢) الدرر السنية (٢/١١٢-١١٣).

والصدق، واليقين، وعدم الشك - وغيرها -، فلا يكون المرء موحدًا إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقبوله، ومحبته، والمعادة فيه، والموالاتة. هـ^(١).

وهذا بعض ما تضمنته هذه الكلمة العظيمة الجليلة من الأسرار والحكم، ولعلها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقفة، وقلوبنا المخطئة، وعلومنا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار، وإلا فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت لهم للتلقي عن الله ورسوله، لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق^(٢).

فليتدبر اللبيب العاقل، الناصح لنفسه، الذي يعرف: أن بعد الموت جنة ونارا، هذا الموضع، ويعرف الشرك بالله - وما يناقض هذه الكلمة -، فما بعد هذا البيان بيان^(٣).

وقد علمتم، معشر الموحدين ما حال بين كثير من الناس، وبين معرفة التوحيد، من العوائد الشركية، والشبهات الخيالية، لما افترقت الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة. فلقد عظمت نعمة الإسلام على من عرفها، وقبلها وأحبها، وصار مستيقنا بها قلبه، مخلصا صادقًا، ورزق الثبات والاستقامة على ذلك.

فيا لها من نعمة ما أعظمها، وموهبة ما أجملها! نعوذ بالله أن يصدف عنها صادق، أو يصرف عنها صارف، ونعوذ بالله من مضلات الفتن، ما ظهر منها

(١) المرجع السابق (٢/٢٠٦) بتصرف.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/١٣٤) بتصرف.

(٣) الدرر السنية (٢/١٠٥) من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ بِتصرف.

وما بطن. فاتقوا الله عباد الله، وارغبوا فيما كنتم فيه من نعمة الإسلام والإيمان، وجددوا، وجدوا واجتهدوا في معرفته على الحقيقة، بأدلته وبراهينه، التي نصبها عليه رب العالمين في كتابه المبين، وبينها لكم نبيه الصادق المصدوق الأمين؛ صلوات الله وسلامه عليه، وعلى من اتبعه إلى يوم الدين^(١).

فالله، الله، إخواني: تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره، أسه ورأسه، وهو: شهادة أن لا إله إلا الله؛ واعرفوا معناها؛ وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين؛ واکفروا بالطواغيت، وعادوهم، وأبغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال: ما عليّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله، وافترى؛ بل كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم، ولو كانوا: إخوانه، وأولاده؛ فالله، الله، تمسكوا بأصل دينكم، لعلكم تلقون ربكم، لا تشركون به شيئاً^(٢).

فاللهم أحيينا على القرآن والسنة، واجعلنا هداة مهدين غير ضالين ولا مضلين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالنبين والصديقين والشهداء والصالحين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

○ ← ○ ← ○

(١) المرجع السابق (١١/٢٣٧-٢٣٨) من كلام العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) المرجع السابق (٢/١١٩-١٢٠) من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.

✻ فهرس الموضوعات ✻

الموضوع	الصفحة
تقديم فضيلة الشيخ العلامة/ صالح بن فوزان الفوزان	٣
المقدمة	٥
باب: معنى لا إله إلا الله	٩
باب: من قال لا إله إلا الله دخل الإسلام	١٥
باب: ليس كل من يقول لا إله إلا الله يكون مسلماً	١٨
باب: فضائل لا إله إلا الله	٢٨
فصل: أصل الثبات لا إله إلا الله	٣٢
فصل: أفضل الذكر لا إله إلا الله	٣٣
فصل: لا إله إلا الله حرز من الشيطان	٣٦
فصل: الاستقامة على لا إله إلا الله	٣٧
فصل: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله	٣٩
فصل: من قال لا إله إلا الله وحقق شروطها دخل الجنة	٤١
فصل: من قال لا إله إلا الله وحقق شروطها خرج من النار	٤٢
باب: شروط لا إله إلا الله	٤٤
فصل: في معرفة شروط لا إله إلا الله	٤٧
فصل: في معرفة علماء الحق من علماء الغي والباطل	٤٩

- ٥٢ باب: الشرط الأول «العلم»
- ٦٠ فصل: وضد العلم الجهل
- ٦٤ فصل: بيان حكم مقلد الكفر
- ٦٦ فصل: مَنْ فَعَلَ الشَّرْكَ فَهُوَ شَرِكٌ
- ٧٤ فصل: الفرق بين قيام الحجّة وفهمها
- ٧٧ فصل: الحكم في تكفير المعين
- ٨٣ باب: الشرط الثاني «اليقين»
- ٨٦ فصل: أمور تساعد على زيادة اليقين
- ٨٦ الآيات الكونية
- ٨٧ الآيات الشرعية
- ٨٨ الآيات العيانة المشاهدة
- ٨٩ الغيبات التي أخبر عنها الشارع وتحققت
- ٩١ الحجج القاطعة والبراهين النافعة
- ٩٣ فصل: الثبات على الحق دليل على اليقين
- ٩٤ فصل: اليقين وحده لا ينفع
- ٩٨ فصل: وضد اليقين الشك
- ١٠١ فصل: دحض شبه تتعلق بالشك
- ١٠٥ فائدة: ليس أكثر أهل الكتاب رد دعوة الرسول ﷺ
- ١٠٦ فصل: ومما يُضاد اليقين الظن السيء

- ١١٠ باب: الشرط الثالث «القبول»
- ١١١ أقسام الناس في الهدى وقبوله
- ١١٥ فصل: الرضا من القبول
- ١١٧ فصل: لا يدل القبول وحده على الإسلام
- ١١٨ باب: الشرط الرابع «الانقياد»
- ١٢١ فصل: من فضل الانقياد
- ١٢٥ فصل: صور من انقياد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
- ١٢٨ فصل: انقياد الجهاد للنبي ﷺ، فما بال الإنسان؟
- ١٢٩ فصل: وضد الانقياد الإباء والاستكبار
- ٣١ باب: الشرط الخامس «الصدق»
- ٣٤ فصل: أهل الصدق هم الصديقون
- ٣٦ فصل: بالصدق تنال الخير وإن لم تدركه
- ٣٨ فصل: تمييز الصادق من الكاذب
- ١٣٩ فصل: وضد الصدق الكذب
- ١٤٠ باب: الشرط السادس «الإخلاص»
- ١٤٣ فصل: وضد الإخلاص الشرك
- ١٤٦ فصل: قول الله تعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي آلِ بْنِ﴾
- ١٤٨ باب: الشرط السابع «المحبة»
- ١٥٣ فصل: محبة أهل بيت النبي ﷺ من محبة الله ورسوله

- ١٥٥ فصل: محبة أصحاب النبي ﷺ من محبة الله ورسوله
- ١٥٧ فصل: محبة المؤمنين من محبة الله ورسوله
- ١٥٨ فصل: محبة الله تعالى لعباده المؤمنين
- ١٦٠ فصل: وضد المحبة البغض والكره
- ١٦١ باب: الشرط الثامن «الكفر بما يُعبد من دون الله تعالى»
- ١٦٤ فصل: البراءة من الكفر وأهله
- ١٦٧ فصل: عداوة المشركين والكفار للمؤمنين والأبرار
- ١٧٠ فصل: مظاهر المشركين والكفار ومناصرتهم كفر
- ١٧٢ باب جامع
- ١٧٧ فهرس الموضوعات